

## موقف المستشرقين من السنة النبوية المشرفة

بقلم إد/أبولبابية  
حسين

### منشأ الاستشراق :

أمام الهزائم التي مني بها الصليبيون في حروبهم الظالمة ضد البلاد الإسلامية، والتي دامت قرابة قرنين من الزمن (1099 - 1270م) عبر تسع حملات غاشمة، بداية من حملة "قود فري أوف بويون - Godfrey of Bouillon" على القدس سنة 1099م والتي ذبحوا فيها أكثر من سبعين ألفاً من المسلمين داخل أسوار المدينة المقدسة وفي رحاب المسجد الأقصى، وانتهاء بحملة "سان لوي - Saint louis" سنة 1270م على تونس<sup>(1)</sup> قصد حمل ملكها على اعتناق المسيحية لتنصير شعبه، وإخراجه من نور الإسلام دين الفطرة والتوحيد إلى ظلمة عقائد المسيحية المحرقة التي تقوم على التثليث وتأليه السيد المسيح عليه السلام والفداء وغيرها.. أمام فشلهم في حروبهم العدوانية هذه، فكروا في الاستيلاء على بلاد الإسلام ثقافياً وفكرياً<sup>(2)</sup>، تمهيداً لتحقيق آمالهم الكبرى في تمسيح المسلمين، فأنشئوا هذا التنظيم المسمى "بالاستشراق".

## تعريف الاستشراق:

بتصفح كتب تاريخ الاستشراق، نقف على جملة وافرة من التعريفات للاستشراق وهي وإن تعددت صيغها فإن معانيها متقاربة، ولعل أقربها وأوعبها لطبيعة الاستشراق وخصائصه وأهدافه، تعريف د. أحمد غراب حيث عرفه بقوله: "هو دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون.. من أهل الكتاب بوجه خاص للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب، عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة وتاريخا ونظما وثروات، وإمكانات بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعى العلمية والموضوعية، وترغم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي"<sup>(3)</sup>

وموقف الاستشراق من الإسلام الذي يصوره هذا التعريف، ليس ظاهرة جديدة في تاريخ العلاقات بين الإسلام ومناوئيه، وإنما هو امتداد لظاهرة قديمة ترجع بداياتها التاريخية إلى ظهور الإسلام نفسه حيث واجهه المشركون بالعداء، ونشروا في وجهه جملة من الشبه والأباطيل، وسار على درب المشركين أعداء الإسلام في كل زمان يجددون التلويح بشبههم ويحيون ما اندثر منها ويلبسون حلا تتناسب والعصر.

## سمات المستشرقين وطبيعتهم:

ونظرا إلى أن الاستشراق خرج من رحم الكنيسة الحاكمة على الإسلام، فإن سمو "الكنيسة" وخدمة الصليبية كانت أبرز سمات المستشرقين، ثم بظهور النزعة الاستعمارية لدى البلاد الأوروبية، التحمت الروح الصليبية مع الأطماع الاستعمارية ونزعة الهيمنة وإذلال الشعوب واغتصاب خيراتهما لا سيما البلاد الإسلامية، فكان

المستشرق أفضل أداة لخدمة هذين الغرضين غير النظيفين، وبذلك أصبح المستشرق لا يخلو من أمرين فهو إما صليبي منكر للإسلام ولنبوة محمد، وأغلب هؤلاء من القساوسة واليهود الذين عرفوا بعداوتهم للإسلام وكيدهم للمسلمين ومحاولاتهم اليائسة لتشكيكهم في دينهم وتضليلهم عنه، وإما خادم للاستعمار خبير ملحق بوزارة خارجية الدولة المستعمرة، حيث نشأت رابطة وثيقة الصلة بين الاستعمار والاستشراق، بصور هذا المعنى نص قرار إنشاء "كرسي اللغة العربية في جامعة" كمبريدج سنة 1636م، فهو يرمي إلى خدمة غرضين أحدهما تنصيري والآخر استعماري تجاري:

- 1- تقديم خدمة نافعة إلى الملك والدولة عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية.
- 2- تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة والدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون الآن في الظلمات!!<sup>(4)</sup>

وإن قراءة سريعة لقائمة أعلام الاستشراق تجعل من السهل إدراك الرؤية الكنيسية للاستشراق.. إذ هم في الأساس من آباء الكنيسة وتلاميذهم<sup>(5)</sup>. كما أن انسياق العديد من المستشرقين في خدمة الاستعمار وارتضاءهم لأنفسهم أن يكون علمهم وسيلة لإذلال المسلمين وإضعاف الإسلام، جعل بعض المنصفين منهم يشعر بالحنج والمراة بل ويصف هذا العمل بـ "القبیح" و"بالواقع المؤلم". يقول المستشرق الألماني المعاصر "ستيفان فيلد Stephan wild": والأقبح من ذلك أنه توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين، وهذا واقع مؤلم لابد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة"<sup>(6)</sup>.

وقائمة الذين ارتبطوا بالاستعمار وألحقوا بالمسلمين النكبات طويلة نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

1- المستشرق الهولندي "سنوك هرجرونيه" (1857 - 1936) Christian snouk Hurgrene اشترك في العمليات الجاسوسية والتنصير والاستعمار العسكري والثقافي، فقد تظاهر كذبا بالإسلام وسافر إلى مكة سنة 1885 وظل بها ستة أشهر منتحلا اسم عبد الغفار، ثم انتقل إلى إندونيسيا في مهمة تجسسية سرية في إقليم "آجي" الذي ثار ضد الهيمنة الهولندية، وتظاهر هناك بالإسلام، وكان بارعا في تمثيل دور المسلم، فخدع أحد الأمراء وتزوج ابنته، وقد أكرمه المسلمون وعلمائهم ومنحوه ثقتهم، فكان أن قابل تلك الثقة وذلك الكرم بالغدر والخيانة حيث أوصى الحكومة الهولندية، باتباع سياسة العنف والتصفية لعلمائهم لأنه رأى فيهم العقبة الكأداء أمام خضوع الإقليم للسيطرة الهولندية<sup>(7)</sup> إذ كانوا المحرك الأول للثورة الإسلامية ضد الهيمنة والتنصير، وما تزال آثار تلك المخططات الجهنمية تتفاعل في إندونيسيا حتى الآن فهي تعاني من مخاطر التقسيم والانفصال والقضاء على وحدتها.

2- المستشرق "دي ساسي" الفرنسي أصبح منذ سنة 1805 يشغل منصب المستشرق المقيم بوزارة الخارجية الفرنسية، وكان في صحبة جيش الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830م وهو الذي ترجم البيان الذي وجه للجزائريين في تلك الحملة الغادرة.

3- كما أن المستشرق الفرنسي "هانوتو" ت 1944م يكشف بوضوح عن مقترحاته لتوجيه سياسة فرنسا في مستعمراتها إلى إضعاف المسلمين في عقيدتهم حتى تسهل قيادتهم.

## أبرز سمات البحوث الاستشراقية:

فإذا كانت هذه بعض أهداف الاستشراق فلا غرو إن اتسمت بحوث

المستشرقين بالملامح التالية:

- 1- سوء الظن وسوء الفهم لكل ما يتصل بالإسلام.
  - 2- سوء الظن بالمسلمين وعلمائهم وتضويرهم على أهم كذابون دجاجلة..
  - 3- تصوير المجتمع المسلم بالمجتمع المتفكك الأناني.
  - 4- إخضاع النصوص لأهوائهم فيتحكمون فيما يقبلونه وما يرفضونه دون احتكام لمنهج علمي أو التزام بأصول البحث والأمانة العلمية.
  - 5- تحريفهم للنصوص في الكثير من الأحيان تحريفا معتمدا، فإذا عجزوا عن تحريفهم تعمدوا إساءة فهمها.
  - 6- يتعسفون في استخدام المصادر، فهم يدرسون السنة من خلال كتب الأدب، والفقهاء من خلال كتب التاريخ، ويصححون ما ينقله الدميري في "الحيوان" ويكذبون ما يزويه مالك في الموطأ، انسياقا مع الهوى وانحرافا عن الحق<sup>(10)</sup>.
- لعل هذه التوطئة الموجزة ضرورية لإدراك دراسات المستشرقين حول السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وما بذلوه من جهود وارتكبه من آثام لإبطالها والتشكيك في حقيقتها، ويحسن بنا قبل الشروع في استجلاء موقفهم من السنة أن نعرف مدلول لفظ السنة عندهم:

### مدلول مصطلح "السنة" عند المستشرقين:

إذا ما استنطقنا معاجم اللغة العربية عن معنى السنة وجدنا أن الأصل فيها هو "الطريقة" و"السيرة" حسنة كانت أو سيئة، من ذلك قول خالد بن عتبة الهندي: فلا تجز عن سيرة أنت سرها فأول راض سنة من يسيرها<sup>(11)</sup>.

4- وكان "لويس ماسينيون Louis Massignon" مستشارا للإدارة الاستعمارية الفرنسية، ومخططا لسياستها ضد مسلمي المغرب العربي، وقد أدت هذه السياسة إلى تشجيع التنصير، وإضعاف اللغة العربية وإحلال الفرنسية مكانها، وإثارة النعرات العرقية والقبلية بين أبناء الأمة الواحدة كما أدت في النهاية إلى استشهاد أكثر من مليون مسلم في ثورة التحرير المباركة، وما تزال آثار مخططاتهم الجهنمية تعاني منها شعوب المنطقة كلها حتى الآن<sup>(8)</sup>.

### أهداف المستشرقين:

من أهم الأهداف التي آل الاستشراق على نفسه أن يخدمها بإخلاص

وتفان:

1- تبشيع الإسلام في عيون جماهير النصارى الخاضعة لزعامتهم الدينية، فطعنوا في الإسلام وحرفوا حقائقه، كما طعنوا في المسلمين ووصفوهم بالهمجية واللصوصية... وحتى الوثنية!!، فلم يكن من أهدافه الدخول في حوار بناء مع الإسلام أو محاولة استيعاب تعاليمه بقدر ما كانت غاياته تقديم صور كريهة ومشوهة تمكن الكنيسة من الاحتفاظ برعاياها والحيلولة دون دخولهم في الإسلام أو الانجذاب إلى تعاليمه وقيمه<sup>(9)</sup>.

2- تشويه الإسلام في عيون المسلمين لبت الوهن والارتباك في تفكيرهم عن طريق التشكيك في قيم الإسلام وعقيدته وأصوله وشريعته وحضارته، ليفقدوا الثقة في أنفسهم وليرتموا في أحضان المسيحية، وإضعاف المقاومة الروحية والمعنوية للهيمنة الاستعمارية وقد أعانهم على ذلك انتصاراتهم الاستعمارية، والانهيار والتدلي الذي تعيشه الأمة الإسلامية.

وقول الرسول ﷺ: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها..  
ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها..."<sup>(12)</sup> بمعنى  
من اتخذ طريقا ونهج نهجا.

كما قد تكون بمعنى "صب" ومنه حديث ابن عمر: "كان يسن الماء على  
وجهه ولا يشنه" أي كان يصبه ولا يفرقه.

وإذا أطلقت في الشرع فيراد بها ما أمر به النبي ﷺ ونهى عنه وندب إليه  
قولاً مما لا ينطق به الكتاب العزيز<sup>(13)</sup>

أما عند علماء السنة: فهي "ما أثر عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وإقراراته  
وصفاته الخلقية الحقيقية والحكمية، وحتى حركاته و سكناته في اليقظة وفي المنام"<sup>(14)</sup>  
هذا هو معنى السنة عند اللغويين العرب وعلماء الشريعة كما هو مبسط في  
مصادرهم الأساسية، وكان من الأمثلة العلمية أن يأخذ المستشرقون بهذه التعريفات  
للسنة إلا أنهم آثروا اللف والدوران لا اختراع معنى للسنة يستجيب لأهوائهم حتى  
يبنوا عليه استنتاجات وتمحلات لا صلة لها بالواقع، ضارين بمعاجم اللغة ومصادر  
علماء الشريعة عرض الحائط:

فهذا "قولد زيهر Gold ziher" يقول عن السنة: "إنها مصطلح وثني في أصله،  
اقتبسه الإسلام. كما يقول: هي المنهج القديم المأثور الذي بعثه المرء في المبادلة  
والأخذ والعطاء" وهي قبل الإسلام اتباع عادات الآباء الكفار وأحوالهم "ثم يعوج  
إلى استنباط نتيجة غريبة وهمية مفادها أن السنة من وضع المسلمين، ذلك أنهم  
استنكفوا من اتباع عادات آباءهم الكفار" فأنشئوا لهم سنة جديدة تتخذ لهم من  
أخلاق النبي وصحابته مثلاً في جميع أحوال معاشهم"<sup>(15)</sup> متناسياً أن الله تعالى نعى  
على المشركين تقليد آباءهم واتباع نهجهم بدون تدبير "يقول الله تعالى: { ما أرسلنا

من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون\* قل أولو جئتم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون} -43 الزخرف 23، 24-

أما السنة فهي ما أثر عن النبي ﷺ من أقوال وأفعال وإقرارات وصفات كريمة عاشها الرسول والصحابة معه فلم يخترعوها أو يبتدعوها، أما اتباعها والاقتراء بها وعدم مخالفتها فبأمر الله لا باختراع المسلمين أو باختيارهم. يقول تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا} -33 الأحزاب 21- ويقول جل وعلا: {فليحذر الذين يخالفون عن أمره إن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم} -24 النور 61-

أما "شاخت Joseph sacht" فيقول عن السنة: "إن النظرية الكلاسيكية للفقه الإسلامي تعرّف السنة بأفعال النبي المثالية" وينسب هذا المعنى للشافعي، إلا أنه يتعقبه بقوله: "لكن معنى السنة على وجه الدقة إنما هو النظائر السابقة، ومنهج الحياة أو هي "الأمر العربي، الأمر المجمع عليه، أو هي تقاليد المجتمع أو الأعراف السائدة"

أما "مارغوليوث Margoliouth" فيرى أن معنى السنة في صدر الإسلام: "هي ما كان عرفا مألوفاً" ثم تطور معناها في الفترة المتأخرة فأصبح منحصرًا فقط في أفعال النبي، ثم ليثير التوجس إزاءها حشر السلطة حشرا في هذا التعريف وأعطاهها دورا في تحديد معنى السنة فقال: "هو ما كان عرفا مألوفاً وقد أيدته السلطة حتى صار عنصرا مدمجاً في شخصية النبي".

ويرى د. مصطفى الأعظمي فيما ادعاه قول زهير- من أن السنة مصطلح جاهلي استخدمه الإسلام - تحكما لا دليل له عليه، ثم إن استعمال الجاهلين لكلمة



ما لا يجعلها إلى مصطلح جاهلي وثني، وإلا لأصبحت اللغة العربية بكاملها مصطلحا جاهليا، وهذا لا يقول به عاقل. أما ما ادعاه "شاخنت" وما استنتجه "مارغوليث" فلا مستند لهما فيه سوى الهوى، فهي ادعاءات تخالف مخالفة جذرية ما دلت عليه النصوص القطعية في مصادرها الأصلية<sup>(16)</sup>.

### محاولات المستشرقين التشكيك في السنة وأسباب ذلك:

بعد أن فشلت محاولات المستشرقين المضنية للتشكيك في القرآن الكريم دون أن يظفروا بأي أثر إيجابي لدى المسلمين رغم ما بذلوه من جهود دؤوبة لرزعقة ثقتهم في كتابهم العزيز، تحولوا إلى التشكيك في السنة المصدر الثاني للتشريع مع الاستمرار في محاولاتهم السابقة الفاشلة الموجهة نحو الطعن في القرآن الكريم. وكان لدهاقنة الاستعمار الإنجليزي بالخصوص دور متميز في إثارة الشكوك في بعض موضوعات السنة تمهيدا للطعن فيها كلية، وصولا في النهاية إلى إبطال الشريعة.

فقد واجه الإنجليز عند احتلالهم الهند مقاومة عنيفة من المسلمين الذين أعلنوا الجهاد في وجه الغزو لتخليص بلادهم من الاحتلال، فما كان من الإنجليز إلا أن صنعوا لهم عملاء من المسلمين نادوا بإنكار الجهاد بالسيف مثل المتنبئ الكذاب "ميرزا غلام أحمد القادياني (1839 - 1908) الذي طعن في أحاديث الجهاد ثم ما لبث أن تطورت هذه الحركة الاهزامية العميلة إلى المناداة بإنكار الحديث جملة وتفصيلا، وقد قاد هذه الحركة "غلام احمد برويز" من خلال تأسيسه جمعية سماها "أهل القرآن". هكذا شنت على السنة حرب في مستوى الدخيل على يد مسلمين صناع للغاصب، مفتونين بالحضارة الغربية ومنهزمين فكريا ونفسيا، إلا أن الغرب لم يكتف بهذا، وإنما جهز جحافل من المستشرقين ويسر لهم الإمكانيات المادية

وسهل لهم طرق البحث وأقام حولهم هالة من القداسة، فأصبحوا رؤاد الغزو والهجوم على السنة النبوية من الخارج<sup>(17)</sup>. ذلك أن إلغاء الشريعة لا يتأتى لهم إلا بالتشكيك أولاً في مصادرها ثم بالطعن في صلوحيتها للحياة. ولا يخفى على أعداء الإسلام أهمية السنة في إقامة شرع الله ودورها في تفسير ما ورد في القرآن من أحكام كلية عامة ومطلقة فمتى نجحوا في محاربة السنة وإبطالها أمكنهم التلاعب بالقرآن إذ "لو لا السنة ما فهم أحد منا القرآن" كما جاء ذلك على لسان الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان<sup>(18)</sup>.

### رواد الغارة الاستشراقية على السنة النبوية:

وكان أول من تولى هذه الغارة على السنة النبوية وبذل محاولات واسعة للتشكيك فيها "قولد زيهر - Gold Ziher" الذي يعده المستشرقون أعمق العارفين بالحديث النبوي، وكذلك "سناؤك هورجرونيه Snouck Hurgronje" المستشرق الهولندي الذي تظاهر بالإسلام خداعاً وبهتاناً، فقد أشادت بهما دائرة المعارف الإسلامية التي وضعها المستشرقون قائلة: "والعلم مدين دينا كبيرا لما كتبه" قولد زيهر" في موضوع الحديث، ولما كتبه "سنوك هرجرونيه"، فهذان العالمان هما اللذان بيّنا لأول مرة في وضوح وجلاء صفة الحديث الحقيقية وأهميته التاريخية من هذه الناحية"<sup>(19)</sup>

ويضيف لهما د. مصطفى الأعظمي المستشرق الألماني المتعصب ضد الإسلام "شاخت"، ويبرر إضافته هذه بأن الأولين (تحديداً ما هو معلوم عند المسلمين بالضرورة من منزلة السنة النبوية وأصالة التشريع الإسلامي، إلا أنه لم يكن في وسعهما أن يأتيا بنظرية متناسقة متجانسة شاملة يعارضان بها عقيدة المسلمين في السنة، والذي استطاع أن يأتي بهذه النظرية برغم أنها خيالية إلى حد بعيد، هو

جوزيف شاخت، وقد انصبت نظرياته على أسس الفقه الإسلامي في كتابه "الفقه الإسلامي"، أما أشهر مؤلفاته على الإطلاق فـ "أصول الشريعة المحمدية" الذي نال أعلى درجات الإعجاب في العالم الأكاديمي الغربي<sup>(20)</sup>

### "قولدرزير" وأهم طعونه في السنة وشبهه حولها:

إن الثقة التي أولاها الغربيون لدراسات "قولدرزير" الحديثية جعلتهم يعتبرون النتائج التي توصل إليها حاسمة ومرجعا أساسيا لهم<sup>(21)</sup>. وتبعاً لذلك فقد أطلقوا عليه أعظم الألقاب والأوصاف، فهو ذو العلم العميق والاطلاع الذي يفوق كل وصف، ويقول عنه الأستاذ الشيخ مصطفى السباعي: "إنه أشدهم خطراً وأوسعهم باعاً وأكثرهم خبثاً وإفساداً في هذا المساق، فقد كان واسع الاطلاع على المراجع العربية - على ما يظهر - حتى عد شيخ المستشرقين في الجيل الماضي، وما تزال كتبه وبحوثه مرجعاً خصباً وهاماً لهم في هذا العصر"<sup>(22)</sup>. وكيف لا يكون أكثرهم خبثاً وإفساداً وهو يروج لمزاعم يهدف من ورائها إلى هدم الأصل الثاني للتشريع الإسلامي وهو السنة المشرفة<sup>(23)</sup>.

فما هي هذه النتائج والشبه التي توصل إليها وشايعه عليها أبناء ملته من المستشرقين اليهود وأيده فيها دعاة الصليب من المسيحيين.

I - **الشبهة الأولى:** "القسم الأعظم من الحديث إنما هو نتيجة لتطور الإسلام الديني والتاريخي والاجتماعي في القرنين الأول والثاني، فهو لا يمثل وثيقة لتاريخ الإسلام في عهده الأول، وإنما هو أثر من آثار الجهود التي ظهرت في المجتمع الإسلامي في عصور المراحل الناضجة لتطور الإسلام" أو هو "آراء اعتنقها بعض أصحاب النفوذ في القرون الأولى بعد وفاة محمد ونسبت إليه عند ذلك فقط"<sup>(24)</sup> وهو رأي يشاطره فيه فنسك - Wensink<sup>(25)</sup> ويتبناه أغلب المستشرقين.

ويعلل هذه النتيجة بما يلي:

أ- إن الآراء والمعاملات الدينية الأصيلة التي سادت الرعيل الأول لم تستطع أن تصمد أمام التغيرات، والتطورات التي حصلت في العهود الموالية، فبدأ العلماء يدخلون من الأعمال والعقائد ما يتواءم مع الأوضاع الجديدة، ذلك أن حياة المسلمين وأفكارهم تأثرت بأمشاج من التيارات الدخيلة ممثلة في النصرانية والإسرائيلية والهلينية وحتى الزرادشتية والبوذية، وللتوفيق بين هذه التطورات وبين التزام المسلمين بأن تكون سنة النبي والسابقين الأولين في الإسلام هي القانون الخلقى الوحيد لهم، لجأ العلماء إلى الوضع، فاستباح الرواة لأنفسهم اختراع أحاديث تتفق وآراء العصر، وجعلوا الرسول يقول ويفعل أموراً مستحسنة جدت في تلك العصور، وهي مستقاة من أقوال الرسل، والأناجيل المنحولة ومن الآراء الإسرائيلية والعقائد الفلسفية اليونانية وقد لقيت تلك الموضوعات الحظوة عند فريق من المسلمين فنسبت كل هذه الأقوال إلى النبي.

ب- كما أن الخلافات الحادة التي جدت بين المسلمين بعد وفاة النبي حول جملة من الآراء المختلفة دفع كل فرقة من الفرق المتناحرة إلى تأييد مترعها بقول أو فعل أو إقرار للنبي.. ولهذا كثرت الأحاديث الموضوعية المتناقضة أشد التناقض في سنة النبي (25).

\*\* هذه أهم شبهة و أكذب قهمة يفتريها هؤلاء المستشرقون على السنة، وهي توحى لقارئها بأن الإسلام ليس تزيلاً من رب العالمين محفوظاً في كتاب الله وسنة نبيه وإنما هو من صنع مجموعة من الناس الأفاكين الكذابين شكلته من تباينات هائلة وقوى متناقضة.

والحقيقة التي لا مرأى فيها أن الرسول ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن اكتمل الدين بصريح نص القرآن الكريم {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً} -5 المائدة-3- وهي آية تتضمن اكتمال السنة الميمنة للكتاب، كما أن صريح الحديث يثبت كمال الدين باكتمال نزول القرآن وإبلاغ السنة. يقول رسول الله ﷺ: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي"<sup>(26)</sup> ثم يوصي المسلمين باتباع أوامره واجتناب نواهيه: "ما أمرتكم به فخذوه وما نهيتكم عنه فانتهوا"<sup>(27)</sup>

فاكتمال الدين وبلوغه أوج النضح تم قبل وفاة النبي ﷺ، وليس أدل على اكتماله من اجتماع المسلمين على نهج واحد في العقيدة والعبادات والأخلاق والآداب وأحكام المعاملات في مشارق بلاد الإسلام ومغاربها، رغم تباين بيئاتها. إن هذه الوحدة ما كانت لتتم لولا اكتمال قواعد الدين وترسخها واستقرارها منذ حياة النبي عليه الصلاة والسلام عقيدة وشريعة وعبادة وأخلاقاً.

أما إذا كان المراد بالتطور ما واجهه المشرعين المسلمين من حوادث ونوازل وجزئيات لم ينص على حكمها القرآن والسنة فإن الاجتهاد نص عليه الكتاب والسنة ويعد أصلاً من أصول التشريع وقد اجتهد الفقهاء ففاسوا واستنبطوا أحكاماً مستمدة من الكتاب والسنة وهم بذلك لم يخرجوا عن دائرة الإسلام وتعاليمه، ويستشهد الشيخ الأستاذ مصطفى السباعي على اكتمال الشريعة ويسرها ومرونتها بسياسة عمر لإمبراطوريتي فارس والروم بكفاءة واقتدار<sup>(28)</sup>.

**(2) - الشبهة الثانية:** إن أحكام الشريعة لم تكن معروفة لجمهور المسلمين في الصدر الأول من الإسلام، فقد كان الجهل بالشريعة وبتاريخ الرسول لاصقاً حتى بكبار الأئمة، حتى أن أبا حنيفة النعمان ت 150هـ لم يكن يعرف أيهما وقع

قبل؟: بدر أو أحد؟<sup>(29)</sup> فكانت الأحاديث الموضوعية تسد هذا الفراغ، وهي موضوعات تفصل القصص والأساطير التي وردت موجزة في القرآن وتتناول آراء ومعتقدات جديدة بل وتتناول حتى أحكام الحلال والحرام والطهارة وأحكام الطعام وآداب السلوك ويوم الحساب والجنة والنار والملائكة والخلق والوحي والأنبياء السابقين، فهي تغطي كل ما يتصل بالعلاقة بين الله والإنسان<sup>(30)</sup>.

\*\* سبق أن بينا أن أحكام الشريعة ثابتة ومحفوظة في الكتاب والسنة ومنذ عهد النبي ﷺ ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن مسائل العقيدة والعبادة والحلال والحرام من المسائل التوقيفية التي لا يجوز أخذها إلا من الشارع، وما يردده المستشرقون يفصح عن تجاهلهم أو جهلهم بطبيعة الإسلام وحقائقه، وكان من المفروض أن يبينوا لنا أي حلال وأي حرام وأي معتقدات وضعها المسلمون لتكميل النقص وملء الفراغ الناشئ عن جهلهم بعقيدتهم وشريعتهم!؟، إن هذه الدعاوى هي أقرب إلى البهتان منها إلى أي شيء آخر، وإن المدارس العلمية التي أسسها الصحابة أنفسهم وأفواج العلماء الذين غطوا بلاد الإسلام قاطبة لتنفي تهمة الجهل الذي يزعم هذا المستشرق أنه ران على طبقات المجتمع.

أما ما ألصقه بالإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان من الجهل بأسبقية غزوة بدر أو أحد! فهذا من السخف المردود على قائله فأبو حنيفة من أبرز العلماء الذين فصلوا أحكام الحرب في الإسلام التي تستدعي الإمام بكل غزوات الرسول وسراياه وبكل الوقائع التي وجدت بين جند الإسلام وأعدائه من المشركين ومن شايعهم وما وقع من أحداث في زمن الفتوح في عهد الخلفاء الراشدين، وفقه الإمام محفوظ ومنشور في كتب تلاميذه كأبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني، والذي أوقع هذا المستشرق في هذا السخف هو منهجه الفاسد في البحث، فأحكام الحروب

ووقائعها بدل أن يدرسها من مظاهرها من كتب الفقه وتاريخ الفتوح فإنه درسها من كتاب الحيوان للدميري و هو كتاب نوادر و طرف يوردها للتسلي لا لتقرير قضايا علمية، ولا يخفى ما كان بين أبي حنيفة ومنافسيه من عداة فكري كان مادة للأخبار بين خصومه وأنصاره كي يلصقوا به ما يحط من قدره أو يرفع من شأنه إلى عنان السماء.

ويدعى "فنسك" أنه لا بد أن تمر عدة عقود من الزمن بعد وفاة النبي حتى يتمكن علماء المسلمين من التعبير عن العناصر الجوهرية في الإسلام ويصوغوا كلمة الشهادة، ويعددوا الأركان الخمسة للإسلام<sup>(31)</sup> - يريد بذلك حديث جبريل عن الإسلام والإيمان والإحسان- ويعلل وضع حديث الشهادتين بقوله: "لم يكن لدى النبي أية صيغة يجب الإتيان بها لمن يدخل في كنف الإسلام، وعندما التقى المسلمون بالمسيحيين في الشام ووجدوا عندهم "كلمة" شعروا بالحاجة إلى ما يماثلها، فاستخرجوا روح الإسلام في هذين الحديثين"<sup>(32)</sup>، والملاحظ أن ونسك لم يهضم أن يكون حديث الشهادتين صادرا عن النبي لاشتماله على عبارة "وأشهد أن محمدا رسول الله"؟!

\*\* إن الشهادتين جزء من التشهد في الصلاة و"ونسك" يعلم هذا جيدا إلا أنه بدل أن يرجع إلى الحق ويتخلى عن نظريته الخيالية ويعدّلها بما يتفق مع الواقع الذي يعيشه المسلمون، عدّل الصلاة نفسها- كما يقول د. الأعظمي - فإذعى أنها لم تصل إلى شكلها النهائي إلا بعد وفاة النبي، وتغافل عن حقيقة أن القرآن أمر بالصلاة عشرات المرات وعن أن أحاديث الصلاة تصل الآلاف، فهل يجوز القول بأن النبي لم يعلم المسلمين الصلاة التي هي تعبدية، توقيفية وعمود الدين، و تركها

ناقصة لتكتمل بعد عقود من الزمن على أيدي الصحابة ومن جاء بعدهم؟! لا يقول هذا إلا مكابر معتز بالإثم وجاهل لأبسط قواعد الإسلام.

\*\* أما حديث جبريل فيرر ونسك وضعه بأمرين:

**الأول:** أن التفرقة بين الإسلام والإيمان تطرح في الحديث لأول مرة في تاريخ العقيدة الإسلامية، لأن القرآن- في زعمه- لم يفرق بين الإيمان والإسلام، ومن ثم فلا بد أن يكون الحديث موضوعاً لتكملة هذا النص-المزعوم- في القرآن؟! ويعلق د. أحمد غراب عن رجل يدعى البحث عن الحقيقة؟! ذلك أن أفكاره وتعليقاته نشير الضحك والإشفاق لأنه يجهل أو يتجاهل حقيقة ناصعة يعرفها كل من درس كتاب الله وتلا قوله تعالى: {قالت الأعراب آما قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا} -49 الحجرات-14- وقد بين المفسرون معنى الإيمان والإسلام فقالوا: إذا افترقنا وإذا افترقنا التقينا وترادفاً، فيقول ابن كثير: "وقد استفيد أن الإيمان أخص من الإسلام فالإسلام يطلق على الأعمال الظاهرة والإيمان تصديق القلب بالله ورسله بلا شك ولا ارتياب".

**الثاني:** أن الحديث لا يذكر الجهاد الأمر الذي يدل على أنه وضع بعد مرحلة الفتوحات الإسلامية، حين فقد الجهاد أهميته "ويدحر د. أحمد غراب هذه الأخلوقة بقوله ساخراً: "هل هي معنى ذلك أن الحديث وضع بعد فتح القسطنطينية في القرن التاسع للهجرة [1453م] مثلاً؟! ألا يعلم أن الجهاد ذكر في عشرات الآيات القرآنية وأنه فريضة ماضية إلى يوم القيامة، وأن هناك عشرات الأحاديث في الجهاد في كتب الرواية، بل من العلماء من محض الجهاد تأليف خاصة، ككتاب عبد الله بن المبارك العالم المجاهد في "الجهاد".



### 3- الشبهة الثالثة: "السنة عبارة عن جملة من الموضوعات التي

احتلقت بعد وفاة النبي بزمن طويل، ودليل قولدزيهر على هذه الشبهة الخيالية:  
أ- أن الخصومة التي حدثت بين الأمويين والعلماء الأتقياء! خاصة علماء المدينة، حدثت هؤلاء إلى جمع الحديث للرد على الأمويين والطعن فيهم، فلما لم يسعفهم ما جمعه منه لجأوا إلى الاختراع والوضع لتحقيق أهدافهم، فاخترعوا أحاديث رأوها مرغوبا فيها في ذلك العصر، وفي الوقت نفسه لا تتنافى والروح الإسلامية. وقد برزوا هذا الوضع وهذا الاختلاق أمام ضمائرهم بأنهم إنما يفعلون ذلك في سبيل محاربة الطغيان والبعد عن سنن الدين<sup>(33)</sup>، وكان هؤلاء العلماء يأملون في استيلاء آل البيت - أعداء الأسرة الأموية- على السلطة، فوضعوا الأحاديث مدحتك دعما لهم وتخذيلا للأمويين وطعنا فيهم بطريقة غير مباشرة.

\*\* والذي نلاحظه أن عبارة "علماء أتقياء" عبارة موهمة غير صحيحة إذ أن الخصومة السياسية التي خاضها الأمويون إنما كانت مع الروافض والخوارج، فإطلاق صفة العلماء على الروافض مثلا، الذين كانوا أداة فساد وإفساد حيث تظاهروا بحب علي وغالوا فيه حتى أهوه كيدا للإسلام والمسلمين، إطلاق باطل<sup>(34)</sup>، أما زعمه أن العلماء الأتقياء لما لم يسعفهم ما جمعه من الحديث لجأوا إلى الوضع والاختراع فهو "قول من لم يصل ولن يصل إلى مدى السمو الذي كان يتصف به علماؤنا الإثبات" الذين كانوا يترفعون عن الكذب في صغائر الأمور في حياتهم العادية، وكانوا يعدون الكذب من أكبر الكبائر حتى أن منهم من قال بتكفير الكذاب على رسول الله ﷺ وذهب علماء الجرح والتعديل إلى عدم قبول توبته<sup>(35)</sup>.  
إن هذا المستشرق- كما يقول الشيخ السباعي رحمه الله- "معذور إذا لم يفهم هذه الخصائص في علمائنا، لأنه لا يجد لها ظلا في نفسه ولا فيما حوله، ومن

اعتاد الكذب ظن في الناس أنهم أكذب منه<sup>(36)</sup>، ثم إذا كان علماء المدينة يضعون الحديث فأين هم بقية علماء الأمصار الذين تعزّ بهم مكة والبصرة والكوفية والشام ومصر واليمن وإفريقية؟! هل شاركوهم في الوضع؟ وإذا فعلوا ذلك فأين هي موضوعاتهم؟ وإذا لم يشاركوهم فكيف سكتوا عنهم؟ وأين هو إنكارهم؟ فالمسألة باطلة من أساسها، والذي يذكره العلماء أن حديث علماء الشيخ السباعي - يعترف لعلماء المدينة بصحة الحديث بدليل أنه أشار على الزهري أن يأتي دور الأنصار فيتعلم منهم.

و"Gold Ziher" يتخذ من جفاء سعيد بن المسيب لعبد الملك بن مروان ذريعة وتكأة لرمي علماء المدينة بعداوة الأمويين وبالتالي بالكذب والموضع لمحاربتهم! إلا أنه لم يستطع أن يستظهر ولو بسبب واه لرميه بالوضع، ذلك أن ابن المسيب يعد من كبار العلماء الأحرار الذين وهبوا حياتهم للدفاع عن سنة رسول الله ﷺ والوقوف ضد من يخالف كائنا من كان، لأن نفسه أهون عليه في ذات الله من نفس ذباب.

فحينما أراد عبد الملك بن مروان أن يأخذ من الناس بيعة لابنه الوليد ثم لابنه سليمان أبي سعيد ذلك لأن النبي ﷺ نهي عن بيعتين في وقت واحد. وقد تعرض بسبب هذا الموقف الشريف للتنكيل والاضطهاد<sup>(37)</sup>. فهل يستبيح لنفسه بعد ذلك الكذب على رسول الله ﷺ!؟

أما الجفاء بين الحجاج بن يوسف وبعض العلماء فبسبب تجبره وإسرافه في مقاومة خصوم الدولة وما اقترفه في حقهم من ظلم وسفك لدمائهم لا بسبب إمعان في الفسق والضلال. ولا ننسى ما كان للحجاج من تعظيم للقرآن وعناية به، فهو الذي كان له فضل السبق في إعجام حروفه وشكل كلماته.

أما ما زعمه من وضع العلماء الأحاديث في مناقب آل البيت فإن أحاديث كثيرة صحيحة بل وآيات عديدة تحدثت عن مناقب الصحابة بما فيهم آل البيت، إلا أن الشيعة الرافضة تزيدوا في الوضع باعتراف ابن أبي الحديد الشيعي نفسه، فقاومهم أهل السنة وردوا أكاذيبهم، فالعلماء لم يضعوا وإنما قاوموا الوضع وكشفوا الموضوعات للناس كي يتجنبوها.

ب- "إن الحكومة الأموية كانت تقابل كذب العلماء بوضع أحاديث تدعم سياستها وترد على خصومها، وكان همها منصرفا إلى تأييد تلك السياسة بغض النظر عن صحة الحديث أو ضعفه".

\*\* والحقيقة التي لا مراء فيها أن التاريخ لم يرو شيئا من هذه الموضوعات المزعومة وإلا فأين هي موضوعاتهم؟

إن النص الذي أورده "قولدزهير" على لسان معاوية يحرض فيه عامله على الكوفة الصغيرة بن شعبة ت 50هـ على سب علي عليه السلام، بوصف بليغ بكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن فقد كان كذلك<sup>(38)</sup>. في حين يتهم الشيخ السباعي "قولدزهير" بتحريف النص الذي أورده الطبري الذي يدعو فيه معاوية عامله إلى شتم علي والعيب على أصحابه والإقصاء لهم، فغير عبارة الإقصاء لهم وجعلها "وتصطهد من حديثهم" ليستخلص منها دعوة معاوية للوضع<sup>(39)</sup>.

ج- كما يزعم هذا المستشرق أن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي الخامس [65-68] منع الناس من الحج أيام فتنة عبد الله بن الزبير، وبني قبة الصخرة في المسجد الأقصى، وحمل الناس على الحج إليها، وقد طوع صديقه الإمام الزهري كي يضع له حديث: "لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى، وحديث: "الصلاة في المسجد الأقصى تعدل

ألف صلاة فيما سواه ليجوز بها الحج إلى الكعبة . وحتى يحمل Gold Ziher الإمام الزهري وزر وضع هذين الحديثين بزعمه، ادعى "أن أحاديث فضائل بين المقدس لم يرو إلا من طريقه"<sup>(40)</sup>.

\*\* إن بناء محج جديد ليس بالأمر الهين فهو كفر، وإذا وقع هذا فإن أعداء عبد الملك وأعداء الدولة سيستغلونه للتشهير بالأمويين، إلا أن الثابت تاريخياً أن خصومهم شنعوا عليهم أشياء كثيرة إلا أن هذا الأمر لن يرد له ذكر في التاريخ. أما دعوى التقاء عبد الملك الزهري ووضعه الحديثين المذكورين فهي دعوى باطلة للأسباب التالية:

- أن الزهري مولود ما بين 50- 58 هـ ولم يلتق عبد الملك إلا في حدود سنة 81 هـ أي بعد القضاء على ابن الزبير سنة 73 هـ وخضوع مكة للسلطة الأموية، فما الداعي لأن يضع الزهري له هذين الحديثين؟؟

- أما دعواه أن الحديثين لم يرويا إلا من طريق الزهري فهذا أيضاً باطل من أساسه فقد روي الحديث من عدة طرق، الزهري وغيره: فقد رواه مسلم<sup>(41)</sup> من طريق عمران بن أبي أنس عن سلمان الأغر عن أبي هريرة. كما رواه عن عبد الملك بن عمير عن قرعة عن أبي سعيد الخدري<sup>(42)</sup>. ورواه أحمد بسنده إلى محمد بن سيرين عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة<sup>(43)</sup>. ثم إن الزهري روي هذا الحديث عن شيخه سعيد بن المسيب الذي توفي رحمه الله سنة 93 هـ بعد عبد اله بن الزبير بعشرين سنة وهي فترة طويلة كي ينتشر فيها الحديث ويسمع به سعيد الذي لم يسكت عن الزهري إذا تزيد عليه، وكان جبلاً في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم<sup>(44)</sup>.

د- كما يزعم Gold Ziher أن الأمويين يستخدمون الخديعة والدهاء لتطويع الإمام الزهري في خدمة وجهتهم السياسية، فهذا الوليد بن إبراهيم الأموي يقدم صحيفة تضم عدد من الأحاديث إلى الإمام الزهري ويطلب إليه أن يأذن له بروايتها عنه، فما كان من الإمام الزهري إلا أن أجابه: "من يستطيع أن يخبرك بما غيري؟" فالزهري- على حد استنباط قولدزهير-س متعاون جدا مع السلطة الأموية ولا يرد لها رغبة سياسية!!.

\*\* لقد ثبت أن الوليد بن إبراهيم الأموي ممن سمع من الزهري، إلا أنه غير مذکور في كتب الرجال لا جرحا ولا تعديلا، كما أن أحاديثه لا وجود لها في كتب السنة المتعارفة، فدعوى نشرها على الناس من الباطل الصريح، أما مسألة عرضه صحيفة على الزهري وإجازة الزهري له أن يرويها عنه فيه ما يدعو إلى التوقف، فهذا أمر معروف عند العلماء بعرض المناولة وهي طريقة من طرق الرواية المعتمدة عند العلماء، إلى أن "قولدزهير" يسعى دائما للصيد في الماء العكر (45).

ه- وليهدم "قولدزهير" ركنا من أركان السنة وهو الإمام الزهري صورته على أن فيه قابلية العمالية للسلطة الأموية:

- فهو يرى مشروعية العمل معها، ولا يتجنب التردد على القصر والتحرك في حاشية السلطان، ب فقد حجج في حاشية الحجاج المشهور بغلظته في مقاومة خصوم الدولة.

- كما قبل منصب القضاء للخليفة الأموي التاسع يزيد الثاني بن عبد الملك بن مروان [101 - 105]، وقبل أن يكون مربيا لولي عهد هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي العاشر [105 - 125].

وحتى يشوه هذا المستشرق اليهودي صورة الإمام الزهري أجرى مقارنة بينه وبين الشعبي عامر بن شراحيل ت 104 هـ فذكر أن الشعبي حارب الحجاج مع ابن الأشعث فيما يعرف بهيج الجماجم [80-82هـ]<sup>(46)</sup>، وامتنع عن تولي القضاء لأن من تولى القضاء ذبح بغير سكين، ويختم المقارنة بين هذين العالمين الجليلين بتعليق متحامل مكشوف: "لو كان الزهري تقيا لهرب كما فعل الشعبي!"<sup>(47)</sup>

\*\* لقد اجمع كتاب التراجم على أن الإمام الزهري كان مثالا للأمانة والثقة وجلالة القدر وعزة النفس وسعة العلم، حتى قال الشافعي: "لولا الزهري لذهبت السنن" وقال أحمد بن حنبل وإسحاق بن راويه: "أصح الأسانيد مطلقا: الزهري عن سالم عن عبد الله بن عمر"<sup>(48)</sup> فصلته بالخلافة كانت صلة الوثائق بدينه المعتر بعلمه فلا يقبل أن تحرف الحقائق أو تمتهن القيم. ثم إذا كان الزهري ممالفا للسلطان على حساب الدين لشنع به النقاد-على الأقل في العهد العباسي- على افتراض أنهم كانوا يخالفون سطوة الأمويين في العهد الأموي، لكن شيئا من هذا لم يحدث.!

- أما دعواه أنه حجج في حاشية الحجاج فهي محض افتراء، لأنه كان مع ابن عمر ت 73 هـ وكان عبد الملك قد أمر الحجاج بالإثناء بابن عمر في المناسك، فكان لزاما أن يلتقيا.

- أما ما عابه به أنه تولى القضاء ليزيد الثاني بن عبد الملك [101-105هـ] وما زعمه من أنه لو كان تقيا لهرب كما هرب الشعبي ت 104 هـ فهذا من التحامل الظالم لأن تولى القضاء لا يضير العلماء ولا يدخل بعدالتهم. ثم إن "Gold Zihir" يغلط باخفائه بعض الحقائق، فالشعبي نفسه بعد أن حارب الحجاج و معه ابن

الأشعث وخدمت الفتنة سنة 82هـ تولى القضاء ليزيد الثاني بن عبد المالك نفسه [101-105] الذي تولى له الزهري القضاء، فلماذا تجاهل الأمرين من الشعبي وهو الأولى بالذكر!!<sup>(49)</sup>

و- ويزعم أيضا أن السلطة الأموية لم تقتصر على وضع أحاديث تخدم أغراضها السياسية ومصالح البيت الأموي، وإنما تجاوزتها إلى وضع أحاديث في العبادات لا تتفق مع ما يراه علماء المدينة، مما أسهم في تغيير الحياة الدينية:

أ- فلصلاة الجمعة خطبتان، وكان الخلفاء يخطبون وقوفا، فأصبح الخليفة الأموي يخطب الخطبة الثانية جالسا مستدلين بما رواه التابعي الشامي الجليل رجاء بن حيوة [ت 112هـ] من أن الرسول والخلفاء كانوا يخطبون جلوسا.

ب- وخطبتا العيد بعد الصلاة فغير الأمويين ذلك وقدموها على الصلاة!

ج- واتخذ معاوية مقصورة في المسجد، وقد أزالها العباسيون بعد ذلك!

د- كما أنه زاد في عدد درجات المنبر<sup>(50)</sup>!

\*\* إن ما زعمه Gold Ziher من تغيير الأمويين للحياة الدينية ووضعهم

أحاديث تؤيد هذا التغيير، من الدعاوى الباطلة التي لا تستند إلى دليل، فما فعله بعض الخلفاء الأمويين مما استشهد به قولدهير لم يكن بناء على أحاديث وضعوها أو وضعت لهم، وإنما عن عذر قضى عليهم بذلك أو عن اجتهاد منهم سواء كانوا مخطئين أو مصيبين:

أ- فعن الشعبي عامر بن شراحيل ت 104هـ "أول من خطب الناس قاعدا معاوية بن أبي سفيان حينس كثر شحمه وعظم بطنه." وقد أنظر الصحابي الجليل "كعب بن عجرة السلمي ت 52هـ" على عبد الرحمان بن الحكم خطبته قاعدا، قائلا له أمام الناس: "انظروا إلى هذا الخبيث يخطب قاعدا والله تعالى يقول: { إذا رأوا تجارة أو

لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما} - 62 الجمعة 11- ولم يحتج ابن الحكم بحديث يؤيد جلوسه. أما ما نسبته المستشرقون لرجاء بن حيوة من أن النبي والخلفاء كانوا يخطبون قعودا فدعوى كاذبة، فلا أثر لهذا الحديث في كتب الرواية ولا حتى في كتب الموضوعات.

ب- أما تقديم خطبتي العيد على الصلاة من مروان بن الحكم، فاعترض عليه رجل من المصلين، وأيد أبو سعيد الخدري هذا المعترض، فقال مروان -معترفا بأن الأصل فيهما التأخر عن الصلاة- إنما قدمناهما لألا ينصرف الناس عن سماعهما<sup>(51)</sup>.

ج- وذكر ابن خلدون في المقدمة [صفحة 476] أن أول من اتخذ مقصورة في المسنجد معاوية حين طعنه أحد الخوارج، اتخذها وقاية من خطر التآمر والاعتيال وقيل أول من اتخذها مروان بن الحكم حين طعنه اليماني.

د- أما زيادة معاوية في درجات المنبر، فما الضير في ذلك وقد زاد المسلمون في درجات منبر رسول الله ﷺ لما كثر عدد المسلمين في حياته عليه الصلاة والسلام وبعد مماته.

هـ- ومما زعمه "قولدزهير": أن الأمويين عملوا على نشر أحاديث ميولهم السياسية وعلى توهين أخرى تعارض توجههم، وقد تولى العباسيون إعدام الكثير من تلك الأحاديث التي تخدم المصالح الأموية<sup>(52)</sup>.

\*\* إن التنافس السياسي قد يؤدي إلى مثل هذا الأمر إلا أن هذا لا صلة له بعلماء السنة ورواة الحديث الموثوقين، ثم إن الموضوعات مرصودة مع رواها في كتب الموضوعات فأين هي هذه الأحاديث؟ وكيف اختلفت؟ إنه مجرد افتراء<sup>(53)</sup>.

و- ومما يستشهد به قولدزهير على وجود الوضع في القرنين الأول والثاني اعترف علماء الجرح والتعديل بكذب الصالحين وكثرة المدلسين:



- فهذا يحيى بن سعيد القطان ت 198 هـ يقول: "ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير"<sup>(54)</sup>، وهذا أبو عاصم النيل الضحاك بن مخلد ت 212 هـ يقول: "ما رأيت الصالح يكذب في شيء أكثر من الحديث". كما يستدل بنصر لو كيع بن الجراح [129 - 197 هـ] يقول فيه عن زياد بن عبد الله البكائي ت 183 هـ: "هو أشرف من أن يكذب" ويجرف قولدهير هذه المقولة لتساوق مع هواه فتصبح عنده: "إنه مع شرفه، في الحديث كان كذوبا!!" وهذا إما جهل منه في فهم العبارة وإما أنه تعمد التحريف وفي كليهما تجن على الحقيقة وهي أن زيادا البكائي من ثقات الرواة ناهيك به أنه من رجال البخاري<sup>(55)</sup> ومسلم والترمذي وابن ماجه.

أما كثرة التدليس والمدلسين فيستدل عليه بما قاله الإمام القدوة يزيد بن هارون السلمى الواسطى ت 206 هـ: "إن أهلي الحديث بالكوفة في عصره ما عدا واحدا كانوا مدلسين حتى السفينان"<sup>(56)</sup>

\*\* إن العلماء الصالحين هم عمدة الرواية أما الجهلة من الزهاد، فقد كشف العلماء عوارهم حتى لا يتخدع بهم الناس، ولا صلة لأكاذيبهم التي رصدت في كتب الموضوعات بالسنة المطهرة. أما التدليس فليس كذبا كما هو معروف عند العلماء إنما هو إيهام بالسماع، وقد درس التدليس فليس كذبا كما هو معروف عند العلماء إنما هو إيهام بالسماع، وقد درس العلماء التدليس وبيّنوا أنواعه، وحكموا على رواه المدلسون بلفظ محتمل بالانقطاع، وما روه بلفظ يثبت السماع بالاتصال. وقد اعتنى العلماء بالمدلسين وضبطوا أسماءهم وتراجهم وحددوا البلاد التي وجدوا فيها. يقول فارس الحاكم: "أهل الحجاز والحرمين ومصر والعوالي وخرسان والجبال وأصفهان وبلاد فارس وخوزستان وما وراء النهر لا يعلم أحد

من أئمتهم ذلك، وأكثر المحدثين تدليسا أهل الكوفة ونفر يسير من أهل البصرة. <sup>(57)</sup> ، كما أن أهل الحديث قبلوا أحاديث سفيان بن عيينة مطلقاً لأنه قد عرف عندهم أنه لا يدلس إلا عن ثقات، لذلك يقول ابن حبان: "هذا شيء ليس في الدنيا إلا لسفيان بن عيينة، فإنه كان يدلس ولا يدلس إلا عن ثقة متقن، ولا يكاد يوجد لابن عيينة خبر دلس فيه إلا وقد بين سماعه عن ثقة مثل ثقته." <sup>(58)</sup>

فما يدعيه قولدهير لا يخرج عن دائرة الكذب والتشهير بعلماء الأمة الأخبار.

**4- الشبهة الرابعة التي اختلقها قولدهير:** أن النقد في القرن الثاني أصبح شكلياً، فصحة الحديث لا تخضع لقواعد النقد وضوابطه العلمية، وإنما تنقد نقداً شكلياً، استناداً إلى ما نسب إلى الرسول ﷺ من قوله: "سيكثر التحديث عني فمن حدثكم بحديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فهو مني قلته أو لم أقله" <sup>(59)</sup> ويستدل على فريته هذه المتعلقة بشكلية النقد: "بالحكم بالوضع على كثير من الأحاديث التي صحت أسانيدها." <sup>(60)</sup>

\*\* وهذا منه تجن على الحق، فإن قواعد الجرح والتعديل ودراسة الأسانيد ومعرفة المتابعات وقواعد دراسة المتون ومعرفة شواهدنا يشهد بدقة منهج علماء الحديث في النقد والتمحيص وصرامته، وهذه القواعد اكتملت في القرن الثاني وألتمها العلماء إلى يوم الناس هذا. أما الحديث الذي استشهد به فهو حديث موضوع باطل بإجماع أئمة الحديث وضعه الزنادقة لترويح الأحاديث الموضوعية على رسول الله ﷺ عند العوامة والجهلة <sup>(61)</sup>.

أما دعواه "الحكم بالوضع على أحاديث صحت أسانيدنا" فهذا من التمويه المردود، ولا يجوز قوله في حق العلماء الذين هم قمة في التحري واليقظة، فلم يرج

عليهم ما كان يفعله بعض أهل الزيغ والجهل من تركيب أحاديث مختلفة على أسانيد مقبولة<sup>(62)</sup>.

#### 5- الشبهة الخامسة: منهج النقد عند المسلمين غير منضبط:

يقول "جوينبول Juynboll": "والحكم على قيمة المحدث قد تختلف اختلافاً بيننا، فرمما كان ثقة عند قوم ولكن غيرهم يعدونه في منتهى الضعف وربما اعتبروه كاذباً في روايته.. بل إن الثقة ببعض كبار الصحابة لم تكن من الأمور المسلمة عند الجميع في أول الأمر، ولهذا نجد أن الثقة بأبي هريرة كانت محل جدل عنيف بين كثير من الناس"<sup>(63)</sup>.

وهذا كلام غير دقيق وليس علمياً على الإطلاق، نعم قد تختلف أنظار علماء الجرح والتعديل في الراوي الواحد لأن أحوال المحدثين في الجرح والتعديل مما تدرك بالاجتهاد وتعلم بضرب من النظر كما يقول أبو الوليد الباجي<sup>(64)</sup>، لكن لا يختلفون حول كذاب وضاع أو ثقة مأمون إذ لا يجتمعون على ضلالة أبداً، وإنما قد يختلفون حول نسبة الثقة في راو من الرواة لأن مدار الثقة يقوم على العدالة والضبط وهنا من المقولات بالتشكيك، ولم يستطع كاتب مادة "الحديث" في الموسوعة الاستشراقية الإتيان بدليل يدعم رأيه الذي يرمي من وراء إشاعته إلى هدم علم الجرح والتعديل.

أما ما ادعاه من "أن الثقة ببعض كبار الصحابة لم تكن من الأمور المسلمة"؟ فهذه دعوى باطلة أيضاً لأن سلف الأمة وجهاهير الخلف قد أجمعوا على عدالة الصحابة، بما فيهم من لابس الفتن، وصار استنقاصهم آية من آيات الزندقة والمروق عن الإسلام، يقول أبو زرعة الرازي: "إذا رأيت الرجل يتنقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق"<sup>(65)</sup>.

أما ما أؤخذ به أبو هريرة من كثرة الرواية فلا يعد طعنا في عدالته، قال ابن عمر: " أكثر أبو هريرة، فقبل له: هل تنكر شيئا مما يقول؟ قال: لا، ولكن جرؤ وجنا"

والمعلوم أن الرسول ﷺ قد دعا له بالحفاظ وكان رضي الله عنه ملازما للرسول منذ إسلامه خبير السنة 7هـ حتى وفاته عليه الصلاة والسلام سنة 11هـ، وسنين تعديل علماء الأمة وخلفا لأبي هريرة عند دحضنا للشبهة السابعة.

(6) - ومن الشبه كذلك زعمهم أن الوضع لم يقتصر على الروايات الشفوية، وإنما تجاوزه إلى وضع صحف مكتوبة، ويستند قولدهير Gold Ziher في شبهته هذه على قبول الناس لوثيقة تعود إلى عصر "تبع بن معد يكرب"، تضمنت حلفا بين اليمينية وربيعه، ويعلق على هذا بقوله: فمن مثل هذه الوثيقة لا يعسر عليه قبول صحف ورسائل أقرب عهد مثل الصحف المكتوبة حول الصدقة التي أرسل بها النبي ﷺ إلى معاذ بن جبل وعمرو بن حزم وغيرهما، ذلك أن أحاديث صدقة البقر في زعم قولدهير لم يصح منها شيء، فاللجوء إلى وضع هذه الصحف بكل جرأة، ويصف هذه الصحف المنسوخة منه ولا يبحثون عن صحتها<sup>(66)</sup>

\*\*الذي لا يختلف حوله اثنان هو أن علماء الحديث لا يصححون حديثا شفويا ولا نصا مكتوبا إلا بعد دراسته وتمحيصه وقد اكتشفوا العديد من الصحف المزيفة كصحيفة أسلاف قولدهير المشهورة بصحيفة اليهود الخيارة التي فضح عوارها الخطيب البغدادي<sup>(67)</sup>. أما كتب الصدقة فقد أجمع العلماء على صحة كتاب أبي بكر إلى أنس، وكتاب الصدقة الذي كتبه الرسول ﷺ، ولم يخرج حتى قبض فعمل به أبو بكر حتى قبض وعمل به عمر حتى قبض<sup>(68)</sup>. وكتابه ﷺ إلى

عمرو بن حزم، يقول الحاكم النيسابوري حول ثبوت الكتابة في عهد الرسول ﷺ: "للم يكن في هذا الباب إلا وقوع العلم بما كان رسول الله يكتبه من عهود السعادة على الصدقات وكتابه لعمر بن حازم لما بعثه إلى اليمن، فإن فيه الأسوة وبه القدوة"<sup>(69)</sup> ويعلق الشيخ الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله على هذه الدعوى بقوله: "الحق إن هذا المستشرق من أقل الناس حياء في مجال العلم، فهو يبتدع الأكذوبة ويتخيلها ويركب لها في نفسه هيكلًا، ثم يلتقط من هنا وهناك ما يوهم أنه يؤيده.. ولا يبالي أن يكذب في النصوص أو يغالط في الفهم أو يستدل بدليل ويعرض عما يكون دليلًا قاطعًا إذ يبطل فكرته"<sup>(70)</sup>

7- **الشبهة السابعة:** الطعن في أبي هريرة ت 57هـ ونسبته إلى الكذب والوضع: يصف قولدزيهر أبا هريرة بأنه مختلق مسرف في الأخلاق، وأنه كان يفعل ذلك بدواعي الورع<sup>(71)</sup> ويجذو "شربنجر" حذوه حتى كاد يستعير نفس عبارته فيصف أبا هريرة بأنه متطرف في الأخلاق ورعا<sup>(72)</sup> وليدلل على وجهة ما ذهب إليه، زعم أن الذين تلقوا عن أبي هريرة أنفسهم قد شكوا فيما ينقله، وعبروا عن هذا الشك بأسلوب ساخر، ويمثل لذلك بحديث أبي هريرة "أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الكلاب إلا كلب صيد أو كلب غنم أو ماشية.. فقيل لابن عمر إن أبا هريرة يقول: أو كلب زرع. فقال ابن عمر: "إن لأبي هريرة زرعاً". ويجعل قولدزيهر Gold ziher من تعليق ابن عمر: "إشارة إلى ما يفعله المحدث لغرض في نفسه"، ثم يميل على الإمام مسلم بالطعن لروايته هذا الحديث<sup>(73)</sup>

أمّا دائرة المعارف الإسلامية فتذرف أحرّ الدّمع وتأسف شديد الأسف إذ لم يعد في القرنين الثاني والثالث للهجرة "في الإمكان اعتبار رجل كأبي هريرة الذي يرجع إليه الفضل في تداول هذه الأحاديث من الكذابين، بل سلم على وجه عام

بصحة كثير من الأحاديث التي تتضمن أخطاء تاريخية شديدة الوضوح. <sup>(74)</sup> ، وهي عبارة توحى لقارئها وكأنه كان قبل ذلك من الممكن تجريح أبي هريرة الصحابي الجليل وتكذيبه.

**\*\*** يقول الشيخ العلامة محمد عزفة: "أبو هريرة رضي الله عنه من جلة الصحابة ومن أوسعهم رواية بل هو أوسعهم رواية إلا ما كان من ابن عمرو، وتجريح هذا البحر فيه إفساد كبير، ولو كان لطعن هؤلاء الأعداء وجه من الصحة لاحتمل ولكنه طعن باطل لا حق فيه، وقد روى عنه أكثر من ثمانمائة راو مما يدل على ثقتهم فيه.. ثم حتى وإن شكوا فيه فإن تركهم له يحدث قرابة خمسين عاما دليل على رضاهم عنه وثقتهم فيه، وهم الغيارى على سنة رسول الله ﷺ.. وهو ثقة ثبت عند الصحابة وعند علماء الحديث. قال ابن عمر ت 73 هـ: "أبو هريرة خير مني وأعلم بما يحدث" وقال طلحة بن عبيد الله ت 36 هـ: "والله لا نشك أن أبا هريرة سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع وعلم ما لم نعلم" <sup>(75)</sup> وهذا زيد بن ثابت ت 45 هـ يسأله رجل عن شيء فيحيله إلى أبي هريرة بجر العلم وكان حافظه بدعاء رسول الله ﷺ. يقول الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره". وقال أبو صالح ذكوان السمان الزيات ت 101 هـ: "أبو هريرة أحفظ أصحاب محمد ﷺ". وهذا عمر بن الخطاب يأذن له بالتحديث بعد أن ذكره بما سمعاه معا من رسول الله ﷺ في أحد بيوت الصحابة: "من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" <sup>(76)</sup>. بل فقد أقره على رواية الحديث عثمان وعليّ وطلحة والزبير وزيد بن ثابت و أبو أيوب الأنصاري وابن عباس وعائشة وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عمر وأبي بن كعب وأبو موسى الأشعري، وهذا إجماع منهم على

صدقه وأمانته، وإذا عدله الله ورسوله وكرام الصحابة فلا عبرة بتجريح أصحاب  
الأهواء وخصوم الإسلام من المستشرقين:

إذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضبانا على لثامها  
"فثسبرنجر" وقبله "قولدزيهر" هما المتطرفان في الاختلاق على أصحاب  
رسول الله ﷺ تضليلاً للمسلمين وتشويشاً على الدين وإيذاء للحقيقة وستراً للواقع،  
فهي دعاوى باطلة ليس لها مستند:

والدعاوى ما لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أديعاء<sup>(77)</sup>

\*\* أما دعواهم أن أبا هريرة زاد في الحديث "أو كلب زرع" لمصلحته بناء  
على ما فهموه من قول ابن عمر رضي الله عنهما، فمن الخطأ البين وذلك لما يلي:  
- قول ابن عمر، إنما هو تثبيت منه لأبي هريرة فيما قال لا تكذيب له،  
بدليل أنه هو نفسه رواه بتلك الزيادة "المرعومة"، [مسلم 1202/3 حديث  
رقم 56، رقم 61 (1576)] قال الإمام النووي: "ليس قول ابن عمر إن لأبي  
هريرة زرعاً توهيناً لرواية أبي هريرة ولا شكاً فيها، بل معناه أنه لما كان صاحب  
زرع وحرث اعتنى بذلك وحفظه وأتقنه". [انظر صحيح مسلم 1203 /3 هامش  
عدد 1].

- كما أن أبا هريرة لم ينفرد بهذه الزيادة، ولو انفرد بها لكانت مقبولة  
مرضية مكرمة، فقد رواها من الصحابة: "سفيان بن أبي زهير الشنئي"<sup>(78)</sup>  
فتجريح أبي هريرة لا يجرؤ عليه إلا فاسق عدو الله وللرسول، وعدالته  
رضي الله عنه ثابتة منذ عهد الرسول إلى أن تقوم الساعة.

(8)- أما الشبهة الثامنة فهي دعواه أن "أسانيد الأحاديث في مجملها مختلفة  
موضعة"!؛

- وإذا كان Gold ziher يزعم أن القسم الأعظم من المتون من صنع المسلمين في القرنين الأول والثاني فإنه بالنسبة للإسناد يرى أنه "لم يظهر إلا في القرنين الثاني والثالث، وأن أسماء الرواة قد اخترعت اختراعاً". (79)

\*\* فعبقرية شيخ المستشرقين تفتقت عن هذا الخيال الواسع الذي زيف عشرات الكتب التي درست الرجال فضبطت أسماءهم وأنسابهم وألقابهم وكناهم ونسبهم وبلدانهم وشيوخهم وتلاميذهم ووصت رحلاتهم وعلاقاتهم الاجتماعية ونشاطهم العلمية.

فحولهم قولد زيهر جميعاً إلى أكذوبة كبرى صنعها علماء الإسلام، وهي جراءة منه مهدت الطريق أمام تلاميذه والمعجبين به الذين صادفت افتراءاته هوى في نفوسهم للمضي قدماً في الطعن في السنة وروايتها، فهذا "كايتاني" يعتقد أنه في عهد عبد المالك بن مروان (65 - 86) أي بعد وفاة النبي ﷺ بأكثر من خمسين سنة لم يكن معروفاً بعد استعمال الأسانيد في الأحاديث النبوية، وبناء على ذلك فالجزء الأعظم من الأسانيد الموجودة في كتب السنة لا بد وأن تكون مما اختلقه المحدثون في القرن الثاني، بل وفي القرن الثالث أيضاً" وهو يستند في استنتاجه السخيف هذا على ما زعمه من أن "أقدم من قام بجمع الأحاديث هو عروة بن الزبير ت 94 هـ وكان لا يستعمل الأسانيد، ولا يذكر مصدراً لكلامه غير القرآن الكريم". كما أن شيرنجر Sprenger يعتمد نفس المسند لينتهي إلى القول: "فما نسب إلى عروة من استعماله الأسانيد لا بد أن يكون شيئاً متأخراً نسبياً".

أما "شاخت" فيرى "أن الأسانيد جزء اعتباطي في الأحاديث، وأن الأسانيد نمت وتطورت على يد الأحزاب المختلفة التي كانت تريد أن تنسب نظرياتها إلا أشخاص مرموقين من القدماء". فـ "الأسانيد -عنده- بدأت بشكل بدائي



ووصلت إلى كمالها في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة.. وكانت الأسانيد -في زعمه- كثيرا ما لا تجد أدنى اعتناء.. وأي حزب يريد نسبة آرائه إلى المتقدمين يختار تلك الشخصيات ويضعها في الأسانيد". ويجذو "روبسن" جذو "شاخت" في هدم الأسانيد فيقول وبكل جرأة: "إن الجزء السفلي من الأسانيد صحيح بينما الجزء العلوي الموصل إلى النبي خيالي وزائف.

وعملية التزييف هذه تمت في نظر شاخت حسب آليات ومراحل محددة: فقد جاءت "صناعة" النصوص متقدمة في الوجود، ثم اخترعت لها بعد ذلك الأسانيد التي ألصقت بالنصوص اغتباطهم، ثم تلت تلك مرحلة التحسينات التي أدخلت على تلك الأسانيد، وأخيرا توصل إلى نسبة الحديث إلى زمن متقدم<sup>(80)</sup>، وحتى سلسلة الذهب التي اعتبرها الإمام البخاري أصح الأسانيد: مالك عن نافع عن ابن عمر، يشكك فيها شاخت بتعلة:

أ- أن نافعا لما توفي سنة 117 هـ كانت سن مالك لا تتجاوز الخامسة من عمره.  
ب- وأن نافعا كان مولى. [والذي عليه المؤرخون أن مالكا ولد سنة 93 هـ أو 94 هـ فتكون سنه عند وفاة شيخه نافع أكثر من عشرين سنة أمّا أن يكون نافع مولى فهذا لا ضير فيه فالإسلام سوى بين الناس ووفر ديمقراطية التعليم وأسبابه للجميع].

ويلخص الدكتور الأعظمي في رسالته القيمة "دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه" مسألة دعوى اختراع الأسانيد بقوله: "وبإيجاز فإن هذه الافتراءات الخيالية تريد أن تبث في روع قارئها: أن مئات الألوف من الرواة أفنوا أعمارهم في وضع الأحاديث على رسول الله ﷺ، وتركيب الأسانيد لها مع تفاهم واشتراك فيما بينهم، وأوجدوا لنا كل هذه الثروة الثقافية من كتب الأحاديث والرجال".<sup>(81)</sup>

\*\*المعلوم الثابت أن الصحابة رضوان الله عنهم كانوا لا يذكرون شيئاً سمعوه من النبي ﷺ أو رأوه يفعله إلا نسبوه إليه، كما كانوا ينسبون القول لقائله سواء كان الرسول ﷺ أو غيره.

وهذا المنهج الذي اتبعه الصحابة منذ عهد الرسول ﷺ هو الذي أنتج الإسناد لا سيما بعد فتنة صفين، فقد أصبح التنقيب على الإسناد وتوثيق النصوص عملاً دقيقاً. وما قارب القرن الأول نهايته حتى بلغ علم الإسناد مبلغاً عظيماً<sup>(82)</sup>. والإسناد يعتبره العلماء من الدين ولهذا وجب التثبيت في رجال السند استمداداً من قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا" -49 الحجرات-6- وتأسياً بمواقف حازمة للصحابة في هذا الباب، من ذلك أن سيدنا علياً رضي الله عنه قال وهو في مسجد الكوفة "انظروا عمن تأخذون هذا العلم فإنما هو الدين"<sup>(83)</sup>. وكان الإمام الزهري لا يقبل حديثاً إلا مسنداً، فكان يقول أترقى السطح بلا سلم؟. وكان شعبة [ت 160هـ] ينظر إلى فم قتادة [ت 117هـ] فإذا قال: "حدثنا" كتب، وإذا قال: "قال"، لم يكتب، لأن الصيغة الأولى تدل على الاتصال والسماع من لفظ الشيخ، والثانية رغم أنها من صيغ الجزم إلا أنها دونها درجة.

9- أما الشبهة التاسعة ويروّجها "شاخت" فمفادها أنّ الأحاديث الفقهية التي تتناول مسائل الشريعة ليس فيها حديث واحد تصح نسبته إلى النبي ﷺ، وكل الأحاديث الفقهية وضعت في القرنين الثاني والثالث، ذلك أن الشريعة حسب خيال شاخت خارجة عن نطاق الدين، ولم يكن النبي ولا الصحابة والتابعون يكثرثون لهذه المسائل ولذلك فهو يعتبر أن ما تذكره المصادر من جهود فقهية وتشريعية للرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم والعلماء من الكذب المختلق.

\*\* وهذا الفكر الغريب الذي يطرحه شاخت لقي معارضة حتى من بعض المستشرقين أنفسهم فهذا "غوایتز Goitien" يقول: إن فكرة الشريعة ليست نتيجة للتطورات التي طرأت بعد القرآن الكريم أو بمعنى آخر بعد وفاة الرسول -ص- ، بل صيغت من قبل محمد نفسه". وهذا "فيزجيرالد Fitz Gerall" يقول: "الإسلام يعتبر الله المشروع الوحيد وينفي بشدة لأي بشر كان سلطة التشريع".

ثم إن شاخت يغذي شبهته الغريبة هذه بتصورات خيالية لا نقل عنها غرابة، فهو يزعم أنه في حدود سنة 140هـ حدثت ولادة المدارس الفقهية التي كانت تناوئ السنة النبوية وتعارضها ، و أخذت تنسب أقوالها إلى شخصيات كبيرة من الماضي ثم تطورت ونسبتها إلى شخصيات أكثر قدما ، ثم تطورت فنسبت أقوالها إلى شخصيات قديمة جدا كابن مسعود، وأخيرا تطورت فنسبت أقوالها إلى النبي ﷺ ثم ولد حزب معارضة يمثله المحدثون الذين وضعوا أحاديث مفصلة عن سيرة الرسول وأقواله وأفعاله.. ودخل هذا الحزب في صراع مع المدارس الفقهية فهزمها، وبذلك رسخت سلطة السنة النبوية .

لقد حول شاخت الساحة الإسلامية إلى حلبة صراع بين أحزاب خيالية تخوض معارك وهمية لا وجود لها إلا في خيال شاخت الخطيب. لقد تجاهل القرآن وهو كتاب المسلمين الذي تنقله أجيالهم عن طريق التواتر المفيد للقطع، وهم يؤمنون إيمانا قاطعا بنسبته إلى الله تعالى. وكان من الفروض أن شاخت - احتراماً لأصول البحث العلمي - أن يعتمد على دراسة عقيدة المسلمين وشريعتهم حتى وإن كان لا يؤمن بنسبة القرآن إلى الله، فعلى الباحث الموضوعي أن يفرق بين ما يعتقدوه هو وبين ما يعتقدوه المسلمون. لكن وللأسف الشديد فإن الخلط شائع عند

عامّة المستشرقين فهم يبحثون قضايا الإسلام لا من خلال وجهة نظر المسلمين وإنما من خلال وجهة نظرهم التي يسعون إلى فرضها لاستنباط أحكام غريبة منها.

فكيف تكون الشريعة خارجة عن الدين وآيات كثيرة تثبت تفرد الله بالتشريع: {ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون} -16 النحل 116- {إننا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله، ولا تكن للخائنين خصيماً} -4 النساء 105- فمما نستخلصه من هذه الآيات العديدة:

- 1- أن الله تعالى خص نفسه بالتشريع، كما أعطى نبيه صلوحية التشريع.
- 2- وأنه تعالى طلب استسلاماً تاماً لأوامره ونواهيه في كل أمور الحياة.
- 3- وليس لأحد أن يبدل أو يغير شيئاً على الإطلاق حتى وإن كان رسولاً مرسلًا.

4- والشريعة تعم كل جوانب الحياة:

أ- العبادات بما فيها الزكاة

ب- الجهاد المشروع لحماية الدين ونشره والتنظيمات المترتبة عليه مما يندرج ضمن القانون الدولي.

ج- النظام الاجتماعي للفرد والأسرة.

د- أحكام الأطعمة والأشربة والألبسة ..

هـ- تنظيم أحكام المعاملات.

و- الجنايات وما يتعلق بها من عقوبات...

ثم إن الحقائق التاريخية تنسجم مع ما ورد في القرآن، وتسفه شاخت، فمن الناحية النظرية: أمر الرسول ﷺ عمّاله بالقضاء بين الناس بما شرعه الله. جاء في

كتابه ﷺ لعمر وبن حزم أنه أمره { أن يأخذ بالحق كما أمره الله، ومن الناحية العملية: كان الرسول ﷺ قاضياً: وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً } -33 الأحزاب -36- كما كلف عدداً من الصحابة بالقضاء.

ثم يم نفسر وجود الآلاف من الأحاديث النبوية المتصلة الأسانيد إلى الرسول ﷺ التي ضمتها كتب السنة والتي تدل على مشاركة الصحابة في الأحداث؟ فمن أين أتت؟؟ وما عن المكتبة الضخمة من ألوف كتب الفقه الإسلامي؟ فإذا كان شاخحت قد أخطأ في هذه القضية الأساسية كان من المفروض أن ترفض نتائجها في مجال السنة جملة وتفصيلاً، إلا أن المستشرقين رغم معارضتهم لبعضهم في المسائل الجوهرية، فإنهم يعضون الطرف وينساقون بفعل الهوى إلى دعم الباطل، فهذا "كولسن" يقول عن نظرية شاخحت الفاسدة كلياً: (إنها غير قابلة للدحض في إطارها الواسع، وكل المستشرقين يستفيدون منها للقضاء على الشريعة)، إن القول بمعادة الفقهاء للسنة النبوية وكون الأحاديث الفقهية كلها موضوعة، ونشوء الصراع بين المدارس الفقهية القديمة وأهل الحديث إنما هو من نتائج عقلية غريبة عن فهم المجتمع الإسلامي. (84)

#### 10- الشبهة العاشرة: التشكيك في صحة صحيح البخاري وفي

سائر كتب السنة:

جاء في دائرة المعارف الإسلامية التي وضعها المستشرقون: إن (قيمة البخاري وغيره من أصحاب الصحاح لم تكن - كالمخطأ الشائع - لأنهم قرروا لأول مرة أي هذه الأحاديث المتداولة كان صحيحاً وأبها كان كاذباً، فرأيهم الخاص لم يكن ليؤثر كثيراً في الرأي الغالب، وإنما تنهض قيمة كتبهم في الأكثر على أنها

جمعت في صعيد واحد كل ما اتفق المؤمنون في عهدهم على أنه صحيح)، ثم تحاول الموسوعة أن تؤكد هذه الريبة في قيمة كتب السنة فتقول عنها: (لم يقع الإجماع على تقديرها إلا بعد تدرج طويل)، وتستشهد على ذلك بمجموعة ابن ماجة التي تقول عنها: (ظلت موضعا للريبة وقتا طويلا لما اشتملت عليه من الأحاديث الضعيفة العديدة). ثم تحاول توهين صحيحي البخاري ومسلم بدعوى تضعيف الدار قطني لمائتي حديث أورداها في صحيحيهما، كما يفتعل "قولديهر" قضية خلافية بين البخاري ومسلم في تحديد شروط الصحة ليثبت اختلاف منهجهما فيقول: (إن شروط البخاري للصحة ليست هي الشروط التي رآها مسلم)<sup>(85)</sup>.

\*\* إن هذا الرأي من الموسوعة رأي غريب مجاف للحق، فالمعلوم عند العلماء أن المكانة التي تبوأها البخاري ومسلم واعتبار كتابيهما أصح الكتب بعد كتاب الله إنما كان لشروطهما المتشددة التي الزماها في صحيحيهما، فكانا لا يرويان إلا عن صفوة الصفوة من الرواة الذين توفرت فيهم أعلى درجات العدالة والضبط - وهما من المقولات بالتشكيك - ولا يوردان إلا ما توفرت أعلى شروط الصحة من اتصال السند الذي لا تشوبه شائبة وعدم الشذوذ وعدم العلة، والأمة إنما أجمعت على فضلها بعد التثبت والتدقيق والنقد والتمحيص. فالمؤثر في صحة الحديث هو اختيارهما القائم على العلم الواسع والدراية الفائقة بعلوم المتن وعلوم السند، مع الإمام بالغريب والعلل والمختلف والمشكل والفقهاء والأصول والبلدان والسير.. والعبرة عند البخاري ومسلم رحمهما الله هو إثبات ما صحّت نسبتة إلى رسول الله ﷺ دون أن تأخذهما في الله لومة لائم. وقد رحلا والتقيا علماء الأمصار وسمعا ونجتا ونقبا واحتكما في حكمهما على الحديث إلى أعلى معايير النقد العلمي الموضوعي.

أمّا زعم الموسوعة أنه لم يقع الإجماع على تقدير كتاب السنة إلا بعد تدرّج طويل فهذا يردده الواقع التاريخي فإنّ معاصري مؤلفي هذه الكتب وهم من أفضل العلماء عرفوا قيمة تلك الكتب وما أنجزه مؤلفوها من تنخيل الحديث وتصنيفه فهذا أبو داود ت 279 هـ عرض كتابه على الإمام أحمد ت 241 هـ أمير المؤمنين في الحديث، فاستحسنه واستجاده وأقرّ بفضل الكتاب قبل وفاة أبي داود بأكثر من أربعين سنة<sup>(86)</sup>.

وهذا البخاري لعظمة ما حققه لسنة المصطفى ﷺ بالجامع الصحيح، أحبّه علماء الأمة حتى أن منهم من تمنى أن ينقص الله من عمره ويزيد للبخاري ليوصل خدمة السنة. بل نقرأ مبايعة للبخاري من جموع المسلمين:

المسلمون بخير ما بقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد.

- أما ما زعمته الموسوعة حول سنن ابن ماجة فلا أساس له من الصحة، وهذا أبو زرعة الرازي [200 - 264 هـ] أحد كبار رجال الجرح والتعديل وأحد كبار المدققين في الحديث يقول عن كتاب ابن ماجة: (لم أجد فيه إلا قدرا يسر مما فيه شيء، وذكر قريب بضعة عشر، أو كلاما معناه).<sup>(87)</sup>

- أمّا الدار قطني فإنما آخذهما لأنهما لم يلتزما ما اشترطاه من اختيار أعلى درجات الصحة في الأحاديث القليلة التي ذكرها الدار قطني. يقول الشيخ أحمد محمد شاكر في تعليقه على ما جاء في الموسوعة الإسلامية (ولم يتفق المحدثون على ضعف أي حديث في هذين الكتابين بل اتفقوا على أنّ البخاري ومسلما مقدّمان على أهل عصرهما ومن بعدهم من أئمة هذا الفن في معرفة الصحيح من غيره)<sup>(88)</sup>.

أمّا قول قولدزيهر: إنّ شروط البخاري للصحة ليست هي الشروط التي رآها مسلم، فإذا كان يقصد به ما اشترطه البخاري من وجوب ثبوت اللقاء وما

اكتفى به مسلم من المعاصرة، فلا خلاف بينهما في ذلك إذ أنّ المعاصرة مع الصدق والأمانة تؤدي إلى ثبوت اللقاء.

وأود في هذا المقام أن أستعرض ما ردّ به د. محمد حميد الله -طيب الله ثراه- تشكيك المستشرقين في صحة الأحاديث الواردة في البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الرواية التي وصلت إلينا، فهو يقول: (إنّ فضلاء الإفرنج كانوا فكروا - كما هو معروف- أن ما ذكره المحدثون من أمثال البخاري ومسلم وغيرهما- ممن وصلت إلينا كتبهم- لا يصح انتسابه إلى النبي ﷺ ولا إلى الصحابة ويرون أن هؤلاء المحدثين:

أ- إما أنهم اخترعوا المتون واختلقوا الأسانيد من عند أنفسهم

ب- وإما أنهم نقلوا في تأليفهم ما كان متداولاً على ألسن الناس في عصورهم مما هو بالمعارف الشعبية وبالفلكلور Folklore أكثر شبيهاً منها بالتاريخ.

وكان أساس ادعاء هؤلاء المستشرقين:

1- أنه لا توجد كتب من كان قبل البخاري ومسلم.

2- وأنه لا توجد حجة على أن أسماء من ذكروا في الأسانيد مطابقة لحقيقة الحال. (89).

ثم ينقض -رحمه الله- على هذه الدعاوى الباطلة بالنقض قائلًا: (. . . إن مثل هذه الاحتمالات لا تنهض أمام ما اكتشف في السنين الأخيرة من كتب القدماء- لحسن حظ العلم والتاريخ- فمثلاً يقول البخاري: عن أحمد بن حنبل عن عبد السرازق بن همام عن عمر بن راشد عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، فما دام لم يوجد لدينا إلا صحيح البخاري جازت مثل هذه الشكوك والشبهات،



أما الآن فمسنند أحمد مطبوع، ومصنف عبد الرزاق وجامع معمر بن راشد كلاهما مطبوع وصحيفة همام بن منبه مطبوعة، ونرى عند المقابلة بينها في الروايات أنه لا توجد أية فوارق بينهما، فإذا فات الشرط فات المشروط، فبطل زعم من زعم أن متون البخاري وأسانيده مختلفة.

وكذلك الحال بالنسبة لصحيح مسلم فمن أسانده سعيد بن منصور فهنا نحن نعثر على سننه وتطبع ولعلنا نعثر يوماً على المؤلفات الواسطة بين سعيد بن منصور والنبى ﷺ، فالحلقة من السلسلة لثاني الصحيحين -صحيح مسلم- وهي حلقة ثمينة جداً قد اكتشفت الآن.. فكلما روى مسلم عن سعيد بن منصور يمكن لنا أن نراجع سنن سعيد بن منصور، ونتحقق أن الإمام مسلماً لم يكذب، ولم يخترع شيئاً من عند نفسه، بل أدى إلى من بعده ما تلقى ممن قبله بكل ديانة وأمانة. ثم يشير الدكتور حميد الله إلى أننا لو طبقنا عشر معشار منهج نقد السنة على كتب الإفرنج من اليهود والنصارى.. فضلاً عن عامة كتبهم التاريخية لم يثبت على النقد منها شيء يعتد به<sup>(90)</sup>.

#### (11) - الشبهة الحادية عشرة: أن المسلمين يعملون بالحديث

الموضوع:

يقول كاتب مادة الحديث في الموسوعة الإسلامية "جوينبول Juynboll":  
(إن المسلمين رغم رفضهم الحديث الموضوع ولعنهم الوضعيين، إلا أنهم يأخذون بالحديث الموضوع إذا كان يتناول بعض العظات أو التعاليم الخلقية)<sup>(91)</sup>. ويجيل هذا الافتراء على كبيرهم "قولدزبهر".

\*\* إن المسلمين مجمعون على تحريم الوضع إطلاقاً في الحلال والحرام وفي فضائل الأعمال، أو ما يسميه هذا المستشرق "بعض العظات والتعاليم الخلقية" وفي

كل المجالات الأخرى. وما افتكرته فرقة الكرامية الضالة من تجويز الوضع في الترغيب والترهيب دون ما يتعلق به حكم، ترغيباً للناس في الطاعة وترهيباً لهم من المعصية كان مخالفاً لإجماع المسلمين الذين يعتد بهم، بل بالغ الشيخ أبو محمد الجويني فجزم بتكفير واضع الحديث<sup>(92)</sup>. فقولدزيهر جهل أو تجاهل ما نصت عليه كتب الإسلام من تحريم الوضع وعدم قبول توبة الكذاب في حديث الرسول، أو تكفيره مثلما ذهب إلى ذلك إمام الحرمين الجويني، لأنه تعمد تبديل الحقائق.

#### 12- الشبهة الثانية عشرة: الوضع أمر ميسور يعسر كشفه:

يزعم شاخت أن وضع الحديث من الأمور الميسورة الهينة التي يتعذر كشفها<sup>(93)</sup>.

\*\* لا يخفى ما في هذه الدعوى من تجاهل للحق، فلو كان أمر الوضع كما ذكر هذا المستشرق ما اضطر الخليفة العباسي إلى اضطهاد مخالفه في محنة خلق القرآن وبين يديه جيش من العلماء والقضاة وأهل الكلام وأساطين المعتزلة كافة، لقد عجز هؤلاء جميعهم عن الإتيان بحديث واحد مروى عن النبي يُخدم قضيتهم في قصة خلق القرآن، وهذا دليل صارخ على استحالة أن يوضع حديث دون كشفه وإبطال نسبته إلى الرسول ﷺ، فهذه الحقيقة التاريخية وحدها كافية لهدم كل دعاوى "شاخت".

#### 13- الشبهة الثالثة عشرة: نفي كتابة الحديث في العصور الأولى:

ذهب قولدزيهر إلى نفي كتابة الحديث في العصور الأولى بعلّة، - ما سماه التحرج الديني [التحرج الذي أبداه بعض الصحابة والتابعين من الكتابة] من جانب - والاهتمامات العقيدية للفرق الإسلامية من جانب آخر. وهما أمران ثبطا عزائم الناس عن كتابة الحديث، ومن هنا تأخرت أولى بدايات جمع الحديث - في زعمه - إلى أواخر القرن الثاني والنصف الأول من القرن الثالث<sup>(94)</sup>، وعلى أساس تصوراته

الخاطئة هذه عمد إلى رد الروايات الخاصة ببداية التدوين والتصنيف، فشكك في رسالة عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر محمد بن حزم ت 120هـ التي يطلب منه فيها كتابة حديث الرسول ﷺ رغم أنها رسالة ثابتة برواية مالك بن أنس لها في الموطأ، وابن سعد في طبقاته والدرامي في سننه والبخاري في صحيحه، فيضرب هؤلاء جميعاً عرض الحائط، ويرى في هذه الرسالة -نزوع الأجيال المتأخرة - إلى محاولة عقد صلة بين عمر بن عبد العزيز وكتب الحديث<sup>(95)</sup>. وحينما يواجه بنص واضح وصريح في إثبات الكتابة يلجأ قولدزيهر إلى تحريف معناه بطريقة تثبت سوء طويته وضربه الأمانة العلمية عرض الحائط. فهذا الإمام الزهري -حين أكرمه الخليفة الأموي العاشر هشام بن عبد الملك (105 - 125) على كتب الحديث لنيه- يقول: "كنا نكره الكتب حتى أكرهنا عليه السلطان فكرهنا أن نمنعه الناس"<sup>(96)</sup> فما كان من قولدزيهر إلا أن حرف المعنى فقال: (إن الزهري اعترف بأنه على هذا النحو قد مكن الأمويين من الحصول على ذرائع دينية تخدم مصالح أسرتهم الحاكمة)<sup>(97)</sup>، وما أبعد هذا الدس المريب عن حقيقة مراد الزهري الذي يريد أن يبين أنه كان يكره كتابه العلم - رغم أنه كان هو نفسه يكتب أثناء طلبه العلم - لما رأى أمره آل إلى كراريس ودفاتر اتكل عليها العلماء وأهملوا الحفظ، وأمام طلب الخليفة وإلحاحه عليه أن يكتب لنيه لم يجد بدا من الاستجابة لرغبته، وعندها أبي إلا أن يفيد الجميع من كتب العلم، فخرج وأملى على الناس الحديث.

وفي الحقيقة فإن الوثائق القديمة التي يشير إليها أحمد بن حنبل في علله والتبرميدي في سننه وابن أبي حاتم في تقدمته تثبت تقدم التصنيف وعودته إلى بدايات القرن الثاني حتى أوائل قيام الدولة العباسية وهي تتحدث عن (وجود عدد

من علماء الحديث في مناطق مختلفة من الدولة، وصفوا بأنهم أول من صنف الكتب أو أول من صنف الحديث<sup>(98)</sup>.

ويتهم فؤاد سزكين قولد زيهـر بأنه (لم يتعمق في دراسة القضية ولم ينتبه إلى الفرق الدقيق بين معنى مصطلح "التدوين" ومصطلح "التصنيف"، ولذا اختلطت عليه الروايات الخاصة بهما إختلاطاً)<sup>(99)</sup>. وكان يوسف العـش في تقديمه كتاب تقييد العلم للخطيب البغدادي بين أن سبب ظن من ظن أن الحديث ظل يتناقله الناس شفاهة أكثر من مائة سنة دون أن يكتبوه، يعود إلى خطأ في تأويل ما ورد عن المحدثين في تدوين الحديث وتصنيفه<sup>(100)</sup>، فإذا كان التقييد يعني الكتابة فإن التدوين يعني تجميع تلك الكتابات في ديوان وهو الكتاب الكبير، في حين يعني التصنيف التبويب والترتيب لتلك الكتابات. فقد كانت صحف كثيرة ورسائل عديدة وكتابات لا تحصى تناولت السنة بالتقييد منذ عهد النبي ﷺ يتداولها العلماء ويكتبونها ويستعيرونها منذ العهود الأولى<sup>(101)</sup>، فالرأي القائل بأن الحديث كان يروى شفويا عهداً طويلاً من الزمن يصفه فؤاد سزكين بالرأي الخاطئ<sup>(102)</sup>.

#### 14- الشبهة الرابعة عشرة: إنكارهم لنبوة محمد ﷺ:

إن كل الشبه السابقة التي افتجرتها المستشرقون وما دججوها به من تحريف وحشده لها من تزييف تصيح أمراً لا يثير الدهشة طالما أنهم يصدرن فيما يعلنون ويسرون عن حقد على الإسلام ورسوله وإنكار رسالته ونبوته.

فقد أنكر المستشرقون نبوة الرسول محمد ﷺ كما أنكروا تلقيه الوحي فغرقوا في مستنقع من التهم الباطلة التي استمدوا الكثير منها مما كان يروجه المشركون ومكذبو الرسل من عتاة الأمم السابقين، فهذا قولدزيهـر يسمي الرسول ﷺ "مؤسس الإسلام"<sup>(103)</sup>، ويتساءل القسيس "وات منتقمري Montgomery":

هل كان محمد نبيا؟ ويجب عن سؤاله بقوله: "كان يتمتع بما يسميه الخيال المبدع"<sup>(104)</sup>، ويرى أن القرآن ليس وحيا إنما هو إنتاج الخيال المبدع، إلا أنه يستمد كثيرا من اليهودية والنصرانية.

أما "همفري بريدو Humphrey Pridraux" في القرن السابع عشر في كتابه عن حياة محمد ﷺ - الذي نال في الأوساط الغربية شهرة واسعة - فيجعل عنوانه الفرعي "الطبيعة الحقيقية للدجل" أي أنه يصف الرسول بالدجال - علا قدره ﷺ عن ذلك علوا كبيرا - وهو وصف يتساق مع ما وصفه به المعجم الاستشراقي المنشور في فرنسا سنة 1697 من أنه "الأفك المشهور بمحمد، مؤسس المرطقة التي سميت دينا"<sup>(105)</sup>.

أما غوستاف لوبون، الفيلسوف الفرنسي المادي الملحد الذي كثيرا ما يوصف بالمنصف للإسلام لأنه يورد بعض شمائل الرسول ﷺ فإنه يصف الرسول "بالمهوس فيقول: ويجب عدّ محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كما هو واضح" وذلك كأكثر مؤسسي الديانات<sup>(106)</sup>.

والمستشرقون ينكرون أمية الرسول<sup>(107)</sup> ويفسرون أميته الواردة في القرآن الكريم بالانتماء إلى أمة اليهود [أي أنه من الأميين] وهي أمة العرب، وبناء عليه فهو قادر على تلقي العلم، وكان يعلمه بشر، وهذا البشر أحيانا يجعلونه نصرانيا أعجميا كان يعمل حدادا في مكة فيختلف إليه الرسول ﷺ ليتعلم منه القرآن! وأحيانا يجعلونهم ورحالة يهودا ونصارى، وأحيانا رهبانا التقاهم الرسول ﷺ في رحلته إلى الشام وهو صغير مع عمه، ورحلته مع مسيرة غلام لخديجة في تجارة لها. أما ظاهرة الوحي فينكرونها ويفسرون ما يصحب تلقيه ﷺ الوحي من حالات الشدة كالرضاء [الحمى] وثقل جسمه وتصيب عرقا، بأنها نوبات صراع أو

اضطرابات عصبية أو هستيرية، يقول تيودور دولدكيه في كتابه عن تاريخ القرآن [1909]: "محمدًا كانت تتباه نوبات عنيفة من الانفعال جعلته يظن أنه تحت تأثير إلهي أي يظن أنه يتلقى وحيًا!"<sup>(108)</sup> أما مارغريث Margoliouth الإنجليزي المتعصب ضد الإسلام فيزعم في كتابه "محمد وظهور الإسلام" [1905]: أن الرسول ﷺ بادعائه الوحي قد ضلل الناس عمداً<sup>(109)</sup>. وأباح بعض المستشرقين لأنفسهم أن يلصقوا بالرسول الكريم ﷺ أكاذيب بشعة بشاعة حقدهم وكراهيتهم للإسلام فوصفه بالجنون والسحر والشهوانية والدعوة إلى الإباحية الجنسية والعدو والعنف بل بلغ الكذب والجهل ببعض كتابهم أن وصف الرسول ﷺ بأنه كان ساحراً هدم الكنيسة في إفريقيا بالسحر والمكر وإباحة الاختلاط الجنسي!؟ وهذه أغنية رولاند *cganson de Roland* حشوها ببعض الأوهام والخرافات فجعلت من المسلمين وثنيين يعبدون ثلاثة آلهة: محمد، ونرفاجان، وأبولو<sup>(110)</sup>.

\* ونظراً إلى أن هذه الأكاذيب مستمدة مما افتراه أسلافهم من المشركين فسوف نكتفي بذكر ما رد القرآن به عليهم تحرّصهم وإرجافهم، يقول الله تعالى في ردّ تهمة السحر والجنون: {كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتوصوا به، بل هم قوم طّاغون} - 51 الداريات 52، 53- ويقول في ردّ تهمة نفي الأمية عنه ﷺ: {وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه يمينك إذن لا زتاب المبطلون} - 29 العنكبوت 48- أما عن زعمهم أنه ﷺ يتلقى القرآن عن بشر فيقول القرآن العزيز: {ولقد تعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر، لسان الذي يلحدون إليه أعجميين وهذا لسان عربي مبين} - 16 النحل 103-

كما أن القرآن ردّ تهمة الكذب والافتراء والأسطورة عن القرآن الكريم، ووصف أصحاب هذه التخرصات كلها بالكفر والظلم والتزوير بيّن أنه أنزله الله:

{ لم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين } -10 يونس 38- { وقال الذين كفروا : إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون، فقد جاءوا ظلماً وزوراً وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيل قل أنزله الذي يعلم السرّ في السموات والأرض.. } -25 الفرقان 4، 5، 6-

\*\* أما اتهامه ﷺ بالشهوانية لزواجه عليه الصلاة والسلام بالسيدة زينب بنت جحش، فهذا الزواج لم يختره الرسول وإنما زوجه الله تعالى لتشريع تحريم النبي الذي كان سائداً في العهد الجاهلي<sup>(111)</sup>، قال تعالى: { فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم إذا قضوا منهنّ وطراً وكان أمر الله مفعولاً } -33 الأحزاب 37- ثم كيف يكون شهوانياً من اقتصر على زوجة واحدة تكبره بخمس عشرة سنة طوال شبابه حتى تجاوز الخمسين؟! وكيف يكون شهوانياً من عاش الزهد والتقشف ورفض حياة الترف رغم ما أنعم الله عليه به عليه من سعة، حتى أمر بتخيير زوجاته بين الرضا بهذه الحياة الشظفة وبين الطلاق: { يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعتكن وأسرحكن سراحاً جميلاً، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعدّ لمحسنات منكن أجراً عظيماً } -33 الأحزاب 29، 28-

\*\* أما اتهام الرسول بالغدر لأن سرية عبد الله بن جحش قاتلت المشركين في رجب الشهر الحرام من السنة الثانية للهجرة<sup>(112)</sup>، فإن القرآن تولى دحض هذا الادعاء فقال تعالى: { يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل قتال فيه كبير وصدّ عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل.. } -2 البقرة 215-

أما ما نال يهود بني قريظة من عقاب رادع جزاه نقضهم العهد مع رسول الله ﷺ وتآمرهم مع المشركين أثناء غزوة الأحزاب للقضاء على الرسول والمسلمين وهم محاصرون بالمدينة<sup>(113)</sup> فلا يعد غدرا بل هو العدل والإنصاف حتى يكونوا عذرة لكل من ردعهم وجعلهم يفكرون أكثر من مرة قبل الإقدام على نقض العهد والغدر والخيانة.

أما وصف المسلمين بالوثنية وإباحة الاختلاط بين الجنسين فهذا لن يدعي إلا مفتر جاهل، فالإسلام دين التوحيد الخالص، والمسلم يعيش التوحيد في صلواته وآذانه وتشهده وذكره.. وهو دين يحرم كل ما يمت للشرك بصلة كاتخاذ الصور والتماثيل والأصنام، دين يحارب حتى الشرك الخفي المتمثل في الكبر ونحوه من الخلال التي توحى بمشاركة الله في توحيده وعظمته وكبريائه.

والإسلام يحرم الاختلاط حتى في حلقات العلم، فقد كان النبي ﷺ يجعل للنساء يوما على حدة في العلم، ويحفظ الأعراض والأنساب حفظه الدماء والأموال، ويعاقب على جريمة الزنا بالجلد وبالرجم.

### هل نجح المستشرقون في تحقيق أهدافهم؟

إن ما تسلحت به الحركة الاستشراقية منذ البداية حتى النهاية -إلا ما رحم ربك- من حقد وعداوة للإسلام وأصوله وقيمه وشريعته سد عليها منافذ الحكمة وجعلها تصدر في استنتاجاتها عن الهوى فلا تتحرك من الكذب والتحريف ولي أعناق الحقائق الواضحة الأمر الذي جعلها تفشل الفشل الذريع في خطتها، فلم تحقق شيئا من أهدافها ولم تتمكن من زعزعة اعتقاد المسلمين ولا خلخلة تمسكهم بكتابهم وسنة نبيهم، نعم استطاعت اقتناص شواذ من المسلمين ممن احتضنتهم المدارس الصليبية منة الروضة حتى الجامعة فوقوا صرعى ضلال أساتذتهم فتحولوا



من حيث يدرون أو لا يدرون إلى ببعوات يرددون زيغ أساتذتهم من المستشرقين دون نقد ولا حجة أو بيينة، إلا أن صحاح هؤلاء المغرر بهم الهلكى ذهبت في واد ولم تجد آذانا صاغية من عامة المسلمين فضلا عن خاصتهم وعلمائهم المتحذرين في العلوم رواية ودراية الذين واجهوا افتراءات المستشرقين ورأوا فيها افتراءات مسفة لا تصدر إلا عن حاقد جاهل.

## هل المستشرقون مؤهلون لدراسة الإسلام دراسة علمية موضوعية؟ وهل هم أهل لمجادلتهم ومناقشتهم؟

إن موقف المستشرقين من الإسلام عموما يمثل عداوة عقائدية من أشد العداوات وأخبثها في تاريخ الإسلام لأنه موقف لا يجمع عداوة المشركين وعبادة اليهود وعبادة الصليبيين الذين أظلمتهم مؤسسة واحدة وحدث بين جهودهم وهي مؤسسة الاستشراق.

ونظرا إلى أن المستشرقين تجردوا من أهم شروط الموضوعية العلمية حين تجردوا من الأمانة والصدق، فاتخذوا من الإسلام موقفا مسبقا قوامه العداوة والتعصب والكيد لأهله فإنه لا يمكن أن يكون الواحد منهم موضوعيا في دراسة موضوع يشعر نحوه بهذا الكم الهائل من العداوة والحقد والبغضاء. ثم إن الدارس للإسلام لا يمكن أن يكون موضوعيا وهو ظهير الاستعمار ومتورط في محاولات تنصير المسلمين والتأمر على بلادهم، ومؤيد للصهيونية وعميل للمخابرات ومعين لكل جهة تعلن عداها للإسلام والمسلمين.

ثم إنهم بافتراءاتهم المتتابعة على الله ورسوله متطاوله يعدون -على ملاحظ د. أحمد غراب- من الظالمين الذين استنأهم الله من الجدل بقوله عز من قائل: ﴿ولا

تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم} -العنكبوت 46-  
 لكن رد طعوتهم وبيان جهلهم وكشف دسائسهم تبقى من الواجبات الأكيدة التي  
 ترقى إلى فروض الكفاية في حق علماء الأمة، ولا يعنى ذلك أننا نكره أحدا على  
 اعتناق الإسلام إذ لا إكراه في الدين، أو أننا لا نقبل الرأي المخالف المرأ عن الحقد  
 والعدوان {بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق} -21 الأنبياء 18-

## الهوامش

- 1 - تاريخ فلسطين منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي 165 - 184 ظفر الإسلام خان - ط5 / 1406 هـ - 1986 م  
 دار الفانس بيروت.
- 2 - انظر السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي 188 - د. الشيخ مصطفى السباعي - ط4 - 1405 هـ المكتب الإسلامي  
 بيروت - دمشق.
- 3 - رؤية إسلامية للاستشراق 7 - د. أحمد عبد الحميد غراب - ط2 - 1411 هـ، المنتدى الإسلامي  
 centre 7 bridge place Green London SW 64.
- 4 - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري 30 د. محمود زقزوق - ط2 / 1405 هـ، 1985 م - مؤسسة الرسالة،  
 بيروت.
- 5 - الاستشراق في السيرة النبوية 21 - د. محمد الأمين النعيم - المعهد العالمي للفكر الإسلامي - سلسلة الرسائل الجامعية. ط1 -  
 1417 هـ / 1997 م.
- 6 - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري 44 - د. محمود زقزوق.
- 7 - رؤية إسلامية للاستشراق 59 - 60.
- 8 - انظر الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع 45 - 46، ورؤية إسلامية للاستشراق 10.
- 9 - الاستشراق في السيرة النبوية 19 - 20 الاستشراق والمستشرقون 20 - 21 د. مصطفى السباعي ط1 - 1420 هـ / 1999  
 م دار الوراق المكتب الإسلامي - بيروت.
- 10 - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي 188 - 189.
- 11 - لسان العرب 13 / 225 لن منظور - دار صادر - بيروت.
- 12 - فتح الباري - كتاب الاعتصام 13 / 302 - ابن حجر العسقلاني (رقم كتابه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي وأشرف  
 على طبعه محب الدين الخطيب - طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) وأخرج نحوه مسلم في العلم - باب من سنة  
 حسنة 4 / 2059 - 2060 - وفي الزكاة - باب الحث على الصدقة 2 / 705 حديث رقم 1017 (حققه ورتبه محمد

- فؤاد عبد الباقي ط 1- 1374هـ/ 1955م عيسى باي الخليلي - القاهرة). وأخرج نحوه الترمذي في العلم - باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى 5 / 43 حديث رقم 2675 (طبعة مصطفى بيبي الخليلي 1356 - 1388هـ - القاهرة).
- 13 - النهائية في غريب الحديث 2 / 409 لبن الأثير، لسان العرب 13 / 225 لابن منظور.
- 14 - أصول علم الحديث بين المنهج والمصطلح 141 - أبو ليابه حسين - ط 1 / 1997م - دار الغرب الإسلامي - بيروت.
- 15 - دائرة المعارف الإسلامية 13 / 389 (أصدرها بالإنجليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين في العالم - النسخة العربية إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد - أحمد الششتاوي - د. عبد الحميد يونس، ط 2 / 1996م دار الشعب. وانظر كذلك: دراسات في البحث النبوي وتاريخ تدوينه 1 / 5-7.
- 16 - انظر دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه 10 / 1.
- 17 - المستشرق شاحت والسنة النبوية 67 / 1 - د. مصطفى الأعظمي (منشورات ضمن كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية - نشرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب التربية العربي لدول الخليج) وانظر كذلك الدراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه 1 / 28-29.
- 18 - قواعد التحديث 52 محمد جمال الدين القاسمي - ط 2 / 1961 - عيسى باي الخليلي - القاهرة.
- 19 - دائرة المعارف الإسلامية 13 / 391.
- 20 - المستشرق شاحت والسنة النبوية 67 / 1 - 68. للأعظمي.
- 21 - تاريخ التراث العربي 1 / 17 فؤاد سزكين - طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
- 22 - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي 189 - د. مصطفى السباعي.
- 23 - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري 102 - د. محمود زقروق.
- 24 - المصدر السابق 101 - وانظر الحديث والمحدثون 302 - 303 الشيخ أبو زهو - رؤية إسلامية للاستشراق 94 - د. احمد غراب.
- 25 - انظر دائرة المعارف الإسلامية 13 / 390 - 391.
- 26 - سنن أبي داود 185 / 2 حدي عدد 1905 - ط 1 - 1371هـ مصطفى الباه الخليلي - القاهرة - صحيح مسلم 2 / 890 الموطأ 560.
- 27 - سنن ابن ماجة 3 / 1 - عيسى الخليلي 1972 - القاهرة.
- 28 - انظر السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي 195 - 196 - والاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري 105 - 10.
- 29 - الاستشراق والمستشرقون 55 - 56 د. مصطفى السباعي.
- 30 - دائرة المعارف الإسلامية 13 / 390 - 391.
- 31 - رؤية إسلامية للاستشراق 94 وحديث جبريل رواد عمر مرفوعا (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله...) مسلم 37 / 1 حديث عدد 8.
- 32 - دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه 2 / 460 - 461.
- 33 - السنة ومكانتها في التاريخ الإسلامي 190 - الحديث والمحدثون 304.
- 34 - الحديث والمحدثون 305.

- 35 - الجرح والتعديل - أبو لبابة حسن- ط2 1983 - دار اللواء للنشر والتوزيع - الرياض.
- 36 - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي 201.
- 37 - سير أعلام النبلاء 225/4، 230، 231.
- 38 - الحديث والمحدثون 305.
- 39 - السنة ومكانتها في التشريع 205.
- 40 - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي 192 - الحديث والمحدثون 306 - الاستشراق والمستشرقون 58.
- 41 - الصحيح 2/ 1015 الحديث عند 511.
- 42 - لصحيح 2/ 975-976 الحديث رقم 415.
- 43 - انسد 2/ 501.
- 44 - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي 217 - 220 دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه 457/2 - 459.
- 45 - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي 220.
- 46 - انظر خبر هيج الجماجم أبو دير الجماجم أو فتنة ابن الأشعث في تاريخ خليفة بن خياط 281/1 - 282 تحقيق ضياء العمري ط1 - 1386هـ / 1967 م - النجف، العراق.
- 47 - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي 223.
- 48 - الباعث الحديث 20 - تدريب الراوي 1/ 77 - مقاصد الحديث للشيخ مصطفى أمين النازي 92/2.
- 49 - انظر الحديث والمحدثون 307.
- 50 - انظر مجموع هذه التهم في الحديث والمحدثون 308 - السنة ومكانتها في التشريع 192 - 226 - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري 102.
- 51 - الحديث والمحدثون 309-310، السنة ومكانتها في التشريع 227-229.
- 52 - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي 193، 229، 226.
- 53 - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي 229.
- 54 - موضوعات ابن الجوزي 1/ 41 - تدريب الراوي 1/ 282.
- 55 - أبو الوليد الليثي وكتابه التعليل والتجريح 2/ 587 ترجمة رقم 396 - أبو لبابة حسين - دار اللواء للنشر والتوزيع، ط1 - 1985 - الرياض.
- 56 - الحديث والمحدثون 311 - السنة ومكانتها 230.
- 57 - كتاب معرفة علوم الحديث - 111 (الحاكم النيسابوري - المكتب التجاري- بيروت) تدريب الراوي 1/ 232 مقاصد الحديث في القدم وفي الحديث 2/ 197 - 198 د. مصطفى أمين النازي - ط5 مطبعة دار التأليف - مصر - القاهرة.
- 58 - مقاصد الحديث في القدم وفي الحديث 192 - 193.
- 59 - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي. 193.

- 60 - السنة ومكانتها 233 - الحديث والمحدثون 314.
- 61 - انظر جامع بيان العلم وفضله 2/ 233 (المكتبة السلفية - المدينة المنورة - ط2/ 1388هـ - / 1986م)
- 62 - الحديث والمحدثون 314.
- 63 - دائرة المعرفة الإسلامية 393/13.
- 64 - أبو الوليد الياضي وكتابه التعديل والتجريح 280/1.
- 65 - التقييد والإيضاح للعراقي 301 - الكفاية للخطيب 97.
- 66 - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي 194 - أورد ابن كثير في البداية والنهاية 2/ 180 قصة أبي كرب ملك اليمن مع أهل المدينة.
- 67 - أصول علم الحديث بين المنهج والمصطلح 112.
- 68 - سنن أبي داود - الزكاة - باب في زكاة السائمة 98/2 الحديث رقم 1568 (المكتبة الإسلامية إسطنبول - تركيا).
- 69 - تقييد العلم تخويله 141 - طبقات ابن سعد 267/1 - المنصباح المضي على كتاب النبي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي 217/2.
- 70 - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي 235.
- 71 - الحديث والمحدثون 162.
- 72 - الحديث والمحدثون 162.
- 73 - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي 193، والحديث رواد مسلم - المساقاة - باب الأمر بقتل الكلاب 3/ 1200 حديث رقم 1571.
- 74 - دائرة المعارف الإسلامية 393 / 13.
- 75 - فتح الباري 75 / 7.
- 76 - الموضوعات 55 / 1.
- 77 - انظر رد فضيلة الأستاذ محمد عرفة في الحديث والمحدثون 162 - 166.
- 78 - الحديث والمحدثون 315، انظر صحيح مسلم 3/ 1204، حديث عدد 1576.
- 79 - تاريخ التراث العربي 1 / 151.
- 80 - دراسات في الحديث وتاريخ تدوينه 2/ 392، 394، 422، 416، 424.
- 81 - نفس المرجع 2/ 435.
- 82 - فس المرجع 2/ 391 - 392.
- 83 - الكفاية 196.
- 84 - شاحت والسنة 1/ 69، 70، 78، 79، 81، 84، 85.

- 85 - 397 / 13 - 398 .
- 86 - انظر سير أعلام النبلاء 209 / 13 .
- 87 - شروط الأئمة السنة للمقدسي ت 507 هـ ص: 19 .
- 88 - الموسوعة الإسلامية 407 / 13 - 408 .
- 89 - كتاب السنن لسعيد منصور 17/1 (حفظه الشيخ حبيب الرحمان الأعظمي - ط1 مطبعة علمي بريس مالكاون 1967).
- 90 - التلخيص الذي كتبه حميد الله سعيد بن منصور 17/1 - 18 .
- 91 - دائرة المعارف الإسلامية 393/13 .
- 92 - تدريب الراوي 283/1 - 284 .
- 93 - شاخت والسنة 93 / 1 .
- 94 - تاريخ التراث العربي 1 / 118 .
- 95 - تاريخ التراث العربي 1 / 121 .
- 96 - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء 363/3 - أبرز نعيم الإتقاني - دار الكتب العالمية - بيروت .
- 97 - تاريخ التراث العربي 1 / 141 .
- 98 - تاريخ التراث العربي 1 / 122 .
- 99 - تاريخ التراث العربي 1 / 120 .
- 100 - تصدير تقييد العلم 5-8 للخطيب البغدادي، كتبه يوسف العرش ط2 - 1974 دار إحياء السنة النبوية .
- 101 - انظر المدخل إلى فتح الباري ص 7 وما بعدها - سيد أحمد صقر - طبعة الأهرام 1972م .
- 102 - تاريخ التراث العربي 1 / 125 .
- 103 - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري 102 محمود زقزوق .
- 104 - رؤية إسلامية للاستشراق 120 د. أحمد غراب .
- 105 - أنظر رؤية إسلامية للإستشراق 30، 31 .
- 106 - رؤية إسلامية للاستشراق 138 .
- 107 - رؤية إسلامية للاستشراق 14 - 15 .
- 108 - رؤية إسلامية للاستشراق 38 .
- 109 - رؤية إسلامية للاستشراق 38، 47 .
- 110 - رؤية إسلامية للاستشراق 129 نقلا عن سودرن souther "وجهات النظر الغربية للإسلام في القرون الوسطى"
- 111 - انظر تفصيل ذلك في "السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة" 299-301 .
- 112 - انظر المصدر السابق 120 / 2 .
- 113 - انظر تفصيل ذلك في السيرة النبوية في القرآن والسنة 120 / 2 .